مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٣.

ظاهرة القسم بوساطة الحروف في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)

يوسف عواد القماز

قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن

ملخّص

تقوم هذه الدراسة على تحليل ظاهرة أسلوبية لغوية تتمثل في القسم بوساطة الحروف، وتتبع وجودها من خلال القرآن الكريم، وإبرازها في ضوء المعايير البلاغية بعد حصر صورها التعبيرية لاستنباط ما يمكن من أسرار التعبير البياني فيها.

وقد تبين أن استخدام هذه الظاهرة الأسلوبية يكمن وراءه اعتبارات بلاغية متعددة تختلف باختلاف الغرض الذي سيقت من أجلها الصورة التعبيرية القسمية في بنائها الخاص، ولعل من أبرز ما ظهر لي من هذه الأغراض ما يمكن اعتباره عائداً إلى الاختصار والخفة في اللفظ، والتناسب في الجرس الموسيقي بين كلمات الصور القسمية، أو الإغراب، أو الاعتبار، أو إظهار ملامح جمالية للصورة، أو المشاركة في الاهتمام لأخذ العبرة، بالإضافة إلى المعنى العام للقسم وهو التوكيد.

وهذه الاعتبارات المتعددة - التي أمكن رصدها - وغيرها مما خفي من المقاصد، تجعل هذه الظاهرة ظاهرة غنية بالدلالات وأهلا للدراسة والبحث.

كما ظهر لي أيضاً أن هناك نوعاً من التغاير بين استخدامات القسم في لغة الخطاب العربي، وبين استخداماتها في لغة القرآن الكريم، من حيث إنها في القرآن الكريم تخضع أحياناً لاعتبارات عقدية تحد من انسيابية التعبير المطلقة في رسم صورة القسم.

Abstract

The present study endeavors to analyse one stylistic and linguistic phenomenon that pertains to employing particles for swearing purposes. This phenomenon has been traced in the Holy Koran. Attempts have been made to pinpoint it in light of rhetoric criteria. This has been done to delimit its various expressions so as to deduce possible rhetoric expressive secrets hidden in it.

It has been found that utilizing such stylistic phenomenon serves various functions, depending on the speaker's intention. Some of the prominent functions of this phenomenon include conciseness, lightness, harmony among the words of a swearing expression or alienation or consideration, the intention of showing the aesthetic aspects of a certain image, or shared common interests or drawing a lesson, in addition to the general function of emphasis. All of these functions render this phenomenon important and a subject that is worth studying.

It also appears to me that there are variations between employing such phenomenon in general discourse and employing it in the Holy Koran where it is subject to creed considerations which, in turn, lay constraints on the flexibility of the absolute expressions of the swearing picture.

المقدمـــة :

يعد القسم بوساطة الحروف ظاهرة لغوية بارزة، تشكل مساحة مرموقة على رقعة العربية، ويزداد وضـــوح هذه الظاهرة عند تطبيق دراستها في ضوء المعطيات القرآنية كمعايير جودة تفيض عنها صور التعبير الســـامقة التي يرمقها الأدباء والكتاب طالبين ودها وراعين حول حماها.

وقد شكلت هذه الظاهرة الأسلوبية مساحة متميزة من صور التعبير القرآني مما يستدعي دراستها وتســليط الضوء عليها لاستخراج ما أمكن استخراجه من معايير الجودة فيها، وبيان مكامن كنوزها التشكيلية ودلالاتهـــا البيانية الجمالية.

وإذا كانت تأدية القسم تتم في صورته المعيارية المتكاملة بوساطة ذكر فعل القسم متعدياً إلى المقســـم بـــه بحرف القسم مع ذكر المقسم عليه (جواب القسم)، فإن إجراءه بوساطة حروف القسم يعد انحرافاً أسلوبياً عـن هذا المعيار، وهذا الفهم مطابق لبعض الاعتبارات في الدراسات الأسلوبية الحديثة، وداخل في بعض مفاهيمـــها وتعريفاتها، فهناك من يرى (أن الأسلوب انحراف عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري(١). ويمكننا تسميته هنا بالمعيارية النسبية. وهو أيضاً نوع من النيابة بين الحروف (حروف القسم) والفعل من هـــذه المادة (ق س م)، هذه النيابة التي تشكل ظاهرة من ظواهر اللغة لا تقل أهمية عن غيرها من ظواهـــر العربيـــة كالتغليب والحذف وغيرها... فهي جميعاً تعد لبنات في بناء اللغة الشامخ.

ويعد هذا البحث مناقشةً لهذه الظاهرة من جوانبها المتعددة، وذلك للوصول إلى كيفيات التشكل البنـــائي ومن ثم المعطيات الدلالية والجمالية لهذا التشكل.

وتسهيلاً لهذه الدراسة فقد جعلتها تقوم على إفراد كل حرف من حروف القسم على حدة والنظر إليه من خلال المستويات الآتية:-

١- المستوى البنائي الذي تتم عليه الصورة من خلال اللغة.

٢- الدراسة الإحصائية لتوارد الحرف وصور التوارد في ضوء القرآن إثباتاً ونفياً.

٣- الدلالات المختلفة لتلك الصور.

صور أسلوب القسم في القرآن الكريم:

تتفاوت استخدامات أسلوب القسم في القرآن الكريم باعتبارات مختلفة حسب ما تتطلب السياقات، فتـــارة نجده مكتمل الأركان مشتملاً على فعل القسم والمقسم به والمقسم عليه مذكورة مثبتة كقوله تعالى: "وأقســموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت"(٢)، وتارة أخرى نجده قد حذفت منه بعض هذه الأركان كحـــذف جواب القسم في مثل قوله تعالى: "والنازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، فالسابقات ســـبقاً،

فالمدبرات أمراً، يوم ترجف الراجفة"(٣)، أو حذف المقسم به كقوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة"(٤)، أو حذف فعل القسم كقوله تعالى: "والضحى، والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى"(٥).

والركن الأول من هذه الأركان (أعني فعل القسم) تتفاوت استخداماته أيضاً باعتبارات مختلفة، حسب ما تتطلب السياقات، فتارة نجد الفعل مذكوراً مثبتاً كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم"(٦)، وأخرى محذوفاً قد عوض عنه بحرف من حروف القسم جار للمقسم به كقوله تعالى: "والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر، هل في ذلك قسم لذي حجر"(٧)، وأحياناً نجده غير مصرح به ولا عوض عنه بحرف وإنما يدل عليه بقرينة مثل اللام الموطئة للقسم الداخلة على جوابه كقوله تعالى: "لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً"(٨)، والتقدير: أقسم لتبلون، أو: والله لتبلون. وأحياناً نجده حُذِفَ من الكلام وجيء بمعادل له مما يحمل معنى القسم كالحلف وذلك كقوله تعالى حكاية عن المنافقين: "يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً"(٩). أو اليمين كقوله تعالى: "أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون"(١٠). أو العهد كقوله تعالى: "ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار"(١١). أو الميثاق كقوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله"(١٢). أو الوعد كقوله تعالى :"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ... "(١٣). أو(جرم) كقوله تعالى: "لا جرم أنهم بالآخرة هم الأخسرون"(١٤).

وهذا التفاوت في صورة فعل القسم بالاعتبارات السابقة الذكر لا شك يتبعه تنوع في الدلالة الدقيقة للاستعمال.

أما صور إثبات فعل القسم، فغالباً ما يكون مع اكتمال البناء الشكلي للصيغة القسمية وهي كثيرة في القرآن حيث وردت صورة إثبات الفعل في حوالي ٢٢ موضعاً...(١٥)، مستخدمة صيغة الماضي كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم"(١٦)، أو المضارع مثل قوله تعالى: "فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما"(١٧)، أو المضارع المسند إلى ضمير المتكلم كقوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم"(١٨)، أو النهي كقوله تعالى: "قل لا تقسموا طاعة معروفة"(١٩). والصور السابقة لصيغة القسم بالاعتبارات المختلفة، كل منها يمكن أن يشكل ظاهرة قائمة بذاتها قابلة للدراسة والبحث، وأبرز هذه الصيغ، صيغة: (حذف فعل القسم والتعويض عنه بحرف من حروفه)، وهي ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل لما تنطوي عليه من دلالات. والناظر في كتاب الله يجد أن صيغة القسم حالة حذف الفعل والتعويض عنه بحرف من حروف القسم، تزيد كثيراً عن

الصيغة السابقة التي يرد فيها فعل القسم، وقد استخدم العرب مجموعة من الحروف عوضاً عن فعل القسم سموها حروف القسم وهي: الواو والباء والتاء واللام والهمزة (٢٠). وقد زاد بعضهم الحرف: (من) بكسر الميم أو ضمها والحرف: (ها)(٢١).ويلحق بعضهم أيضاً كلمة (جير) ويعدها حرف قسم (٢٢).

أما كيفية استخدام هذه الحروف، فقد تكفلت كتب النحو في بيانه وتوضيح العلاقة بينها، وهذا الزجاج يحدثنا عن ذلك فيقول: "واعلم أن الواو والباء تدخلان على كل محلوف به، ولا تدخل التاء إلا على لفظ الجلالة الله- عز وجل -، واللام لا تدخل إلا في التعجب فتقول: "وحياتك لأخرجن" و "بحياتك لأخرجن" ولو قلت "تحياتك" لم يجز.

والأصل: الباء؛ لأنها من حروف الخفض، والواو بدل من الباء لأنهما من حروف الشفتين فجاز أن تتعاقبا والتاء بدل من "الواو" كما أبدلوها في "تراث" و "تخمة" "وتكأة" وما أشبه ذلك لأنه من "ورثت" و" الوخامة" من "اتخمت" و"التكأة" من "توكأت" ...(٢٣).

وإذا علمنا أن أدنى حافة اللسان اليمنى إلى منتهاها مع ما يليه من لثة الأسنان العليا، هو مخرج اللام، وأن من طرف اللسان ومن أصول الثنايا العليا هو مخرج التاء أدركنا قرب المخرجين(٢٤)، وبالتالي تسويغ أن ينوب أحد الحرفين مكان الآخر.

ويرى آخرون أن أصل هذه الحروف هو الباء لعلة أخرى، قال ابن كمال باشا: "والأصل من حروف القسم، هو الباء؛ لأن فعل القسم لازم يحتاج في التعدية إلى حرف التعدية وهي الباء، والواو بدل من البلء، ولا يجوز استعمالها مع فعل القسم فلا يقال: "أقسمت والله بخلاف الباء فيقال: أقسمت بالله لأصالتها"(٢٥). والأصالة في حروف الجر –كما هو مبين في كتب النحو- (أن يؤدي الحرف معنى فرعياً جديداً في الجملة ويوصل بين العامل والاسم المجرور)(٢٦). و هأنذا أشرع ببيان هذه الحروف حسب ورودها في ضوء كثرة الاستعمال في القرآن الكريم.

حرف القسم الواو :

ومن الجدير بالذكر بيان أن أكثر هذه الحروف استخداماً هو الواو، ويتميز من غيره من حروف القسم فيما يأتي:-

١- تنوع المقسم به بعده من حيث كونه :-

أ- لفظ الجلالة (الله).

ب- لفظ الجلالة (الرب).

جـ-مخلوقات ربانية عظيمة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الواو بوصفها حرف قسم تدخل على كل محلوف به، ومن الأمثلة على تنوع مدخولها قوله تعالى: "والفجر، وليال عشر"(٢٧)، وقوله تعالى: "والشمس وضحاها"(٢٨)، وقوله تعالى: "فوربك لنحشرنهم والشياطين"(٢٩)، وقوله تعالى: "قل إي وربي إنه لحق"(٣٠) ، وقوله تعالى: "قالوا بلى وربنا"(٣١)، وقوله تعالى: "والله ربنا ما كنا مشركين"(٣٢).

وجواز تنوع المقسم به بعد الواو يجعل كثيراً من صور التعبير القسمي سليمة صحيحة، بخلاف الحروف الأخر المقيدة ببعض الصور التعبيرية، فإنه (لا يقال: تربك، ولا تزيد، ولا تالشمس، ولا يقال: بالشمس، ولا بزيد، وغير ذلك من الصور على معنى القسم، مع جواز أن يكون ذلك كله بالواو فتقول وربك، وزيد، ...)(٣٣).

٢- كثرة الاستعمال: فهذا الحرف يعد أكثر حروف القسم استخداماً، وهذه الميزة ناتجة عن الميزة الأولى، إذ إن تنوع المقسم به ودخوله على كل محلوف يجعل استخدامه أكثر من غيره في باب القسم، وقد ورد في مجال القسم في كتاب الله عز وجل في أكثر من أربعة وخمسين موضعاً(٣٤).

أما عن النكتة في ورود القسم بالواو بهذه الكثرة فيعود إلى خفة حرف الواو عند النطق به قياسا إلى غيره من حروف القسم كالباء والتاء واللام، حيث يعد حرفاً هوائياً شفوياً لا يحتاج إلى بذل جهد عند النطق به.

ومع وجود هذه المميزات للواو التي تعطيها انسيابية التعامل مع الجمل القسمية إلا أننا لا نعدم بعض القيود اللغوية التي تقيد انطلاقية هذا الحرف المطلقة، فقد ورد من القيود اللغوية أنه لا يدخل إلا على مظهر وأنه لا يتعلق إلا بمحذوف، قال الرماني: "لا يجوز أن تدخل على مضمر كما تدخل الباء في قولك: به لأخرجن...؛ لأن الباء هي الأصل والواو بدل منها ... وتضمر معها رب نحو قولك: ورجل أكرمت . وبلد دخلت". (٣٥)،فدخولها أعلى مظهر نحو قوله تعالى: "يس، والقرآن الحكيم"(٣٦). ولا يقال: وك، كما لا يقال: أقسم والله (٣٧).

وعند معالجة القسم بالواو في ضوء الآيات القرآنية نجد أن القرآن قد حصر القسم بها في عدة أمور هي :-

١- القسم بمخلوقات ربانية عظيمة.

٢- القسم بلفظ الجلالة (الله).

٣- القسم بلفظ الجلالة (الرب).

١- القسم بالمخلوقات:

عند معالجة القسم بالمخلوقات، نجد أن هذا النوع أكثرها وروداً كما أشرنا إلى ذلك فقد ورد القسم بمخلوقات الله سبحانه وتعالى في أكثر من أربعة وخمسين موضعاً، وقد تنوعت هذه المخلوقات ما بين كونها

زمانية أو مكانية أو ذوات وغير ذلك؛ فقد أقسم سبحانه وتعالى بملائكته أولي الصفات المختلفة(٣٨)، وأقسم سبحانه بالليل في أحواله المختلفة(٣٩)، وأقسم بضده وهو النهار في أحواله المتغيرة أيضاً(٤٠)، وأقسم سبحانه بمخلوقات شريفة كريمة، فقد أقسم بالرسول صلى الله عليه وسلم(٤١)، والكعبة (٤٢)، ومكة(٤٣)، وبيت المقدس(٤٤)، والطور(٤٥). وأقسم سبحانه بكلامه القديم القرآن(٤٦). وأقسم بالأرض(٤٧)، والسماء(٤٨)، والقمر(٤٩)، وغيرها من المخلوقات.وإذا ما حولنا استنطاق النصوص القسمية السابقة من هذا التنوع لمعرفة المسند إليه المحذوف، نجد أن فاعل القسم المحذوف فيها جميعاً هو الله سبحانه وتعالى فقط و لم يتعد فاعل القسم إلى غيره سبحانه وتعالى.

ويكمن السر في ذلك أن الحلف والقسم بغير الله (أي بالمخلوقات) غير جائز من جهة شرعية إلا من الله، فانحصر المسند إليه في لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى، وقد وردت الآثار الدالة على هذا الفهم الشرعي، فقد وردعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(٥٠).

وما جاء وظاهره مشعر بأنه حلف بغير الله فمؤول على معنى عدم القصد إلى الحلف واليمين، فقد خرج العلماء قول النبي صلى الله عليه وسلم "أفلح وأبيه إن صدق"(٥١) وقوله "أما وأبيك لتنبأنه"(٥٢) على عدم القصد إلى التعظيم، فقد جاء في تأويل ذلك عن ابن عبد البر ما قوله "إن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم به، والنفي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف"(٥٣).

وخرج أيضاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قصد في قسمه إلى التأكيد، و لم يرد تعظيم المقسم به، والنهي عن القسم بالمخلوقات يقع عندما يراد بالقسم التعظيم(٥٤).

وما من شك أن القسم بالشيء يقتضي تعظيمه، ولا أعظم من الله عز وجل، فانتفى القسم بالمخلوقات لغير الله عز وجل، وحتى يسير الكلام على وتيرة واحدة أي عدم جواز القسم بغير الله مطلقاً، حمل بعضهم القسم في هذه المواطن على تقدير محذوف مثل "ورب الضحى"، ورب الفجر، ورب الليل، وغيره ...(٥٥) وهذا التقدير يجعل القسم يسير على وتيرة واحدة وهو عدم جوازه إلا بالله سبحانه وتعالى، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن القيم حيث قال: "إن المقسم به في هذه الأمور هو لفظ الرب سبحانه وتعالى على تقدير: ورب الفجر، ورب الليل، ورب محمد ...(٥٦). ومن المعلوم أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير.

وإذا اعتبرنا أن الأمر على غير تقدير مضاف، يصبح جواز القسم بغير الله منحصرا فيه سبحانه وتعالى وحده، وهذا الوضع، يقتضي منا معرفة السر والنكتة في قسم الله بهذه المخلوقات، وهذه النكات والأسرار يمكن أن نلمحها من خلال تتبع هذه النصوص القرآنية، فقد أقسم سبحانه وتعالى بالشمس والضحى والليل

والقمر والنجوم والفجر والسماء والعاديات، والنازعات والملائكة الخ... وكلها مخلوقات ربانية عظيمة ذوات أهمية بالغة في حياة البشر والكون، فلا عجب إذاً أن يكون القسم بها من أجل تعظيمها وإبراز أهميتها في الوجود، فما من مخلوق أقسم الله به إلا وله أهمية عظيمة بحيث تتوقف الحياة أحياناً على وجود ذلك المقسم به كالليل والنهار، قال تعالى: "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء"(٥٧)، ومن منا يستطيع أن يتصور الكون بلا شمس ولا قمر ... كل ذلك بالإضافة إلى دلالة القسم العامة وهو: التأكيد على ما يحمله جواب القسم من معان ودلالات.

وإذا كان الأصل في القسم وصدوره، تأكيد الحكم الذي يتضمنه جواب القسم، يمكننا هنا القول: إن القسم قد جاء أيضاً لأغراض أخرى زائدة على التأكيد.

ويمكننا هنا القول أيضاً: إن القسم قد خرج على خلاف مقتضى ظاهره وعدل به إلى تنبيه المخاطبين على أهمية المقسم به ومكانته، وليس المراد ساعتئذ حقيقة القسم، بل الدلالة على مخلوقات الله العظيمة الدالة على كمال قدرته ووحدانيته سبحانه وتعالى -ومن المقرر أن النكات البلاغية قد تتزاحم في الموضع الواحد- ويشهد لهذا المذهب، ما جاء في مقدمة تحقيق كتاب أقسام القرآن ونصه: "وقد اتفق العلماء على أن إقسام الخالق بشيء من مخلوقاته إنما يراد به تعظيم المقسم به"(٥٨).

وبالرجوع إلى ما أقسم الله به من مخلوقاته يتبين لنا أن منها ما حمله المفسرون على أكثر من وجه بسبب الاشتراك اللفظي مما أدى إلى جعل بعضها ذا شأن وبعضها الآخر دون ذلك حسب إمكانية الحمل في اللفظ، فعلى سبيل المثال لا الحصر حمل بعضهم معنى (النازعات) على أنها القسي (جمع قوس)، وحمل بعضهم اللفظة نفسها على معنى الملائكة، بسبب هذا الاشتراك اللفظي، وحمل بعضهم قوله تعالى: "والتين والزيتون"(٥٩) على أنها الشجرة المعهودة، وحملها البعض على معنى مواطن تلك الأشجار وأنها إشارة إلى موطن رسالة عيسى عليه السلام.

والقاعدة العامة في هذا الشأن أن ما كان محتملاً منها أن يحمل على أكثر من وجه، فإن العلماء حملوه على المعنى الأعظم ويدل على ذلك ما قاله الفخر الرازي في تفسيره عندما أشار إلى اختلاف أهل التأويل - في قوله تعالى "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس" - هل المراد من ذلك بقر الوحش كقول ابن مسعود والنخعي، أو أنها الكواكب السيارة كما ورد عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة، لعظمتها وكثرة أمورها العجيبة فقد قال: "إن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى"(٦٠).

وترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ وجهاً غير ما ذكر في استخدام الواو في القسم فتقول بعد الإشارة إلى فكرة الإعظام عند المفسرين: "والذي اطمأننت إليه بعد طول التدبر لسياقها في الآيات المستهلة بالواو، هو أن

هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو: اللفت بإثارة بالغة إلى حسيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيان معنويات يمارى فيها، أو تقرير غيبيات لست من الحسيات والمدركات، فالبيان القرآني في قسمه بالفجر وبالصبح إذا أسفر وإذا تنفس وبالشمس وضحاها والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى... يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل، بماديات من النور والظلمة في مختلف درجاتها، وهذا البيان المعنوي بالحسي، هو مدار استعمال البيان القرآني للظلمات والنور بمعنى الضلال والهدى وهو الذي يمكن أن نعرضه على أكثر الآيات المستهلة بواو القسم فتقبله دون تكلف في التأويل أو اعتساف الملحظ"(٦١).

وتسوق الأمثلة المرضية لهذه الفكرة من خلال عدة سور ابتدئت باستخدام القسم بالواو كالضحى والعاديات والفجر والنازعات وغيرها، منها ما قالته في سورة العاديات "السورة تبدأ بالواو لا فته إلى ما عهد القوم من غارات الخيل المصبحة وتفجؤهم على غير توقع فلا ينتبهون إلا وقد توسطت الجمع فبعثرته وسط نقعها المثار، توطئة إيضاحية لصورة بيانية أخرى منذرة بغيب غير مشهود ولا مدرك يفجأ الإنسان الكنود لربه بالبعث يأخذه على غير أهبة أو توقع، فإذا الناس في حيرة وارتباك قد بعثروا من القبور أشتاتاً كالفراش المبثوث أو الجراد المنتشر وإذا كل ما في صدورهم قد حصل لم تفلت منه خافية مضمرة في طي الصدور"(٦٢).

وواضح من خلال رأي بنت الشاطئ أن القسم بالمخلوقات وفي جميعها قضايا حسية لا يصار إليها لذواتها بل لأنها تمثل رمزاً إلى غيرها، فهي رموز حسية تشكل انطلاقةً لأمور معنوية، وهي إشارات مدركة بوساطة الحواس تقودنا إلى أمور غيبية معنوية لا تدرك إلا بالعقل.

مما سبق يتبين لنا أن القسم بالمخلوقات أسلوب تعبيري قرآني يمكن حمله إلى أبعد من مسألة تعظيم المقسم به كما يمكن إخراج دلالاته على خلاف مقتضى ظاهرها لإفادة التنبيه إلى فاعلية وأهمية المقسم به، وأهميته مما يفسح المجال إلى إمكانية تداول مثل هذا الأسلوب عند الكتاب والمبدعين لا على أنه تعظيم للجمادات حتى لا يقع في محظور شرعي، وهذا الفهم يجعل من الممكن أيضاً إيقاع القسم بأمور ليست ذات أهمية ولا بقيمة عالية من باب الإشارة إلى استخدام الاستعارة ذات العلاقة الضدية حينما يقصد أن يكون المراد الاستهزاء بمن يوجه إليهم القسم، أو إظهار مهانتهم أو السخرية بهم والتقليل من شأنهم، وذلك قياساً على ما جاء في القرآن الكريم في استخدام الاستعارة الضدية في قوله تعالى في حق الكفار: "فبشرهم بعذاب أليم"(٦٣)، حيث علم أن البشارة لا تكون إلا في الأمور المرغوب فيها.

وفي هذا تفتيق لأساليب جديدة وأنماط تعبيرية وصور بيانية يمكن أن يستلهمها أصحاب الشأن القولي في هذا العصر.

٢- المقسم به لفظ الجلالة:

عند تتبع المقسم به لفظ الجلالة (الله)، لم أجد في القرآن الكريم إلا آية واحدة قد نصت على ذلك، في قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٣ "ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين".

ولكي يتبين لنا سر استخدام لفظ الجلالة في هذا الموطن، يتعين علينا معرفة ملابسات نزول هذه الآية، فقد ذكرت على لسان الكفار وفي معرض سؤال الله سبحانه وتعالى لهم عن الشركاء الذين كانوا يعبدونهم من دونه سبحانه وتعالى من الأصنام، والمخلوقات الأخرى التي كانوا يعتقدون فيها النفع والضر أيضاً. والسياق العام للآيات الوارد فيها النص يوضح ذلك، ويشير أيضاً إلى تعريض الله عز وجل بهم بسبب هذا الشرك، ويبين أنهم كاذبون إلى أبعد حدود الكذب حتى على أنفسهم، وذلك من خلال قوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون، ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون"(٦٤).

وقد علم أن الكفار كانوا يعتقدون أن الأصنام شركاء الله، وأنها تضر وتنفع، وأنها قادرة على نصرهم والشفاعة لهم. وعند تحليل الجملة القسمية في هذا النص، يتبين لنا أن القسم هنا: وقع في معرض الجواب عن سؤال المراد منه التقريع والتبكيت(٦٥)، لا حقيقة السؤال؛ وذلك كونه صادراً عن الله سبحانه وتعالى فلا يصح الاستفهام على حقيقته وهو: طلب الفهم أو العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.

ولو كان السؤال خارجاً مخرج الظاهر، أي على حقيقته، لتناقض ذلك مع حقيقة الألوهية؛ إذ لا يتصور أن الله سبحانه وتعالى يغيب عن علمه شيء من مخلوقاته فهو كما جاء في الآيات: "يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"(٦٦) وقال تعالى: "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين"(٦٧).

وقد فهم الكفار هذا المعنى بدليل أن جوابهم كان على طريق الأسلوب الحكيم *، فلم يكن مطابقاً للسؤال، ولو طابق لكان الجواب: هم في النار، أو ضلوا عنا، أو ما شابه ذلك، ولكنهم عدلوا عن هذا الجواب إلى التأكيد على نفي الشرك عنهم باستخدام القسم "والله ربنا ما كنا مشركين"، فأخرجوا الكلام على خلاف مقتضى ظاهره، قال البيضاوي: "والمراد من الاستفهام التوبيخ"(٦٨).

والنكتة في استخدام القسم هنا على هذه الصورة التعبيرية، هي: تصوير مدى شدة تبرؤ الكفار من أصنامهم التي كانوا يشركونها في العبادة، ويعتبرونها شفعاء لهم عند الله، ويقاتلون من أجلها، ويذبحون لها النذر، إلى غير ذلك من الأعمال الدالة على خالص انتمائهم ومحبتهم لها. وهاهم اليوم في هذا الموقف العظيم

يتبرؤون منها أشد التبرؤ. ويؤكد هذا المعنى ما ذهب إليه أبو حيان في تفسيره لهذه الآية حيث قال "... فعلى هذا يكون المعنى: ثم لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها إلا التبرؤ منها والإنكار لها، وفي هذا توبيخ لهم، كما تقول لرجل كان يدعي مودة آخر ثم انحرف عنه وعاداه يا فلان، لم تكن مودتك لفلان إلا أن عاديته وباينته، والمعنى على: ثم لم تكن بمعنى مودتهم وإعجابهم بالأصنام إلا البراءة منهم باليمين المؤكدة لبراءتهم ..."(٦٩).

أما استخدام لفظ الجلالة (الله)مقسما به –وهو ما يعنينا بحثه في هذا الموطن– فيعود إلى إرادة جعل الجواب أكثر تأكيداً باستخدام القسم. أما كون القسم بلفظ الجلالة (الله) أكثر تأكيداً؛ لأن لفظ الجلالة يمثل اسم الله الأعظم الذي يوصف بجميع الصفات ...(٧٠) التي وصف الله سبحانه وتعالى بها نفسه، فهو العلم على الذات الإلهية، وغيره من الأسماء والصفات تعود إليه وتنبثق عنه.

إن استخدام لفظ الجلالة (الله) في هذا الموطن، يعد اعترافاً منهم بالألوهية والوحدانية التي كانوا ينكرونها من قبل في حياتهم الدنيا، فقد كانوا يقسمون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أما الآن، فلم يعد هناك مجال إلا الاعتراف بالألوهية والوحدانية لله سبحانه وتعالى، وقد ظهرت الأمور على حقائقها أمامهم، ولم يعد هناك مجال للإنكار، وقد قيل :"ليس الخبر كالمعاينة".

إن استخدامهم لفظ الجلالة (الله) في هذا الموطن يتضمن طلبا للرحمة التي يريدونها وذلك؛ لأنه يمثل اسم الله الأعظم الذي عنه تنبثق جميع الصفات والأسماء الحسنى، قال تعالى: "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم...."(٧١). فالاستخدام لاسم (الله) في هذا الموطن يعد اعترافاً منهم أيضاً بالصفات المنبثقة عنه، ومنها صفة الرحمن والرحيم والسلام والمؤمن، التي تحمل في طياتها معاني الرحمة والغفران والأمان والسلام الذي يطلبونه الآن أي الخلاص من النار.

ونستطيع أن نلمح أن هناك أسراراً ودقائق تعبيرية تدرك من خلال هذا الاختيار [اختيار لفظ الجلالة] كمقسم به في هذا الموطن، وان الأمر ليس مجرد حشو فراغ بكلمة ذات معنى، وأن اختيار هذا الاسم (الله) في هذا الموطن يحمل في طياته الطمع للخلاص مما هم فيه، فهو الاسم الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، وفيه يزول الخوف ويكشف الكرب ويفرج الهم والغم وتحدث السعة بعد ضيق ويتحول الضعف إلى قوة والذلة إلى عزة والفقر إلى غنى والوحشة إلى الأنسة والغلب إلى النصر وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء....(٧٢). كما أن تأكيد القسم بلفظ الجلالة من خلال ذكر لفظ الربوبية (ربنا)، يشعر

بذكر نوعي التوحيد: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية الموجبين للخلاص من النار. ويزداد التوكيد وضوحاً، إذا أدركنا ورود كلمة (ربنا) على أكثر من وجه في القراءات، فقراءة الجمهور بكسر الباء يعني أن إعرابها صفة للفظ الجلالة(٧٣)، أما قراءة النصب فهي محمولة على النداء أو على إضمار (أعني)، وعندئذ تكون كلمة (ربنا) اعتراضا بين القسم والمقسم عليه(٧٤)، وعلى كلتا القراءتين فالاعتبار البلاغي أنها جاءت توكيداً فوق توكيد؛ إذ من المعاني التي يقع من أجلها الوصف أو الاعتراض تأكيد الحكم المتضمن في الجملة.

والوجه الأخير في هذا الأمر، أنه لما كان المراد من قوله تعالى على لسان الكفار "والله ربنا ما كنا مشركين" نفي الكفار الشرك عن أنفسهم، ناسب ذلك القسم باللفظ الدال على الألوهية والتوحيد (الله) المقابل للشرك.

المقسم به لفظ الرب:

ظهر لنا مما سبق أن المقسم به بعد واو القسم ينحصر في مخلوقات ربانية عظيمة، و لفظ الجلالة (الله) - وقد تم الحديث عنهما-، ولفظ (الرب)، وهذا التنوع في المقسم به يتبعه تغاير في الدلالات وتناسب في السياقات والنصوص القرآنية.

وظاهر النصوص أن هناك توافقاً وتناوباً في استخدام لفظ (الله) ولفظ (الرب) في هذا المجال، لكن عند إمعان النظر نجد أن هناك دقائق وخيوطاً داخلية تجعل سبباً للتغاير والاختلاف في استخدام الاسمين في الجملة القسمية، وقد اكتفى المفسرون بالقول: إن لفظ الجلالة(الله) في القرآن الكريم يأتي لتربية المهابة، وإن لفظ (الرب) يأتي في مقام الإيناس والتربية. و حتى نقف على ما هو أبعد من ذلك يحسن بنا بيان الفرق بين الربوبية والألوهية، فهو مفتاح هذا التغاير؛ فقد جاء في كتب علم الكلام: أن الألوهية تعني: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ونفي الشركاء عنه سبحانه، أما الربوبية فتعني: أن الله خالق كل شيء ورب كل شيء. ومعنى الربوبية متضمن في الألوهية، والأول (الألوهية) شرط في دخول الجنة، وهو الذي أنكرته العرب والأمم الأخرى، قال تعالى: "اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا شيء عجاب"(٧٥)، وقال تعالى: "أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد"(٧٦)، وهو الذي قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل الإيمان به، فالكفار الذين قوتلوا كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية، ويشهدون أن الله هو الخالق الرازق والمحيي والمميت والمدبر لجميع الأمور، ومع ذلك لم يدخلهم هذا الإقرار في دائرة الإسلام الذي يعصم الدم والمال(٧٧). أما الثاني: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء،وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال...وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم (٧٨)وقد أقرت قريش بهذا النوع من التوحيد: قال تعالى في سورة لقمان آية ٢٥، وفي سورة الزمر آية ٣٨: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن

الله"، وقال تعالى في سورة المؤمنون آية ٨٤، ٨٥ :"قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون".

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل ما ورد من آيات تشتمل على لفظ الرب في الجملة القسمية بعد الواو فنقول: إن عدد هذه الآيات بلغ ثماني آيات هي على النحو الآتي:

١- "وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون"(٧٩).

٢- "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما"(٨٠).

٣- "فوربك لنسألنهم أجمعين"(٨١). ٤- "فوربك لنحشرنهم والشياطين"(٨٢).

٤- "ويستنبئونك أحق هو، قل إي وربي إنه لحق"(٨٣).

٥- "قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب" (٨٤).

٦- "قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم"(٨٥).

٧- "قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب..."(٨٦). فجميع هذه السياقات تحتاج إلى الجملة القسمية؛ وذلك إن الرزق في السماء، وتحكيم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من القضايا التي يقتضي التوكيد فيها فالإيمان به حكما، وإثبات حقيقة القرآن الكريم، ثم سؤال الكفار وحشرهم وبعثهم كلها من القضايا التي تحتاج إلى توكيد، فالمتحدث عنه(المشرك أو الكافر) في السياقات ليس بخالي الذهن فيلقى إليه الكلام خالياً من المؤكدات على نمط الضرب الأول من أقسام الخبر، ولا هو من المترددين السائلين فيلقى إليه الكلام مؤكداً بمؤكد، بل نجده منكراً أشد الإنكار يتعدى قوله إلى الفعل أحياناً في مثل التحاكم إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم بل رفض حكمه، وإنكار اعتباره مشرعاً، كما يفهم من معنى الآيات، وهذه الإنكارات جاءت في النصوص السابقة أما على شكل استفهام إنكاري أو إنكار في صيغة الخبر، أو استفهام المراد منه الاستهزاء، فتعامل جميعها معاملة الضرب الثالث من أضرب الخبر الذي يحتاج إلى توكيد حسب درجة الإنكار.

أما استخدام لفظ الرب في هذه السياقات فتختلف النكتة فيه من سياق إلى آخر، ففي الآية الأولى "وفي السماء رزقكم..." نجد الحكم المراد إثباته يتعلق بالرزق الذي يتناسب مع صفة الرب (الرزاق) وهذا أدخل في باب الربوبية فعبر بلفظ الرب دون غيره في القسم، ويزيد الأمر وضوحاً إضافة الرب إلى السماء والأرض حيث الرزق مسَبب عن المطر، وقد يطلق المطر ويراد به الرزق من باب إطلاق السبب وإرادة المسَبب كما هو

معلوم من علاقات المجاز المرسل، قال ابن القيم : "أما الرزق فقد فسر بالمطر"(٨٧). وهو يتواجد بين هذين المخلوقين السماء والأرض فناسب الإتيان بلفظ رب السماوات والأرض.

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى :"فلا وربك لا يؤمنون ..." فنجد أن المضمون فيها يتعلق بأحكام وشرائع ومعاملات، وهي تدخل أيضاً في مفهوم الربوبية وتتناسب معها، فكان التعبير بلفظ الرب، حيث إن الخطاب متعلق بالذين يرفضون أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم، يوضح ذلك الآيات السابقة على هذه الآية وهي قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً، فلا وربك لا يؤمنون ..."(٨٨).

وما من شك أن الأمور المتعلقة بالقضاء والأحكام والشرائع والمعاملات بين العباد وكيفيات الحكم ومن يقوم به، من التدابير الربانية، وهي ألصق بمعنى الربوبية من معنى الألوهية، ويزيد وضوح ذلك أن إضافة لفظ الرب إلى كاف الخطاب -المراد بها النبي صلى الله عليه وسلم- يظهر مكانة الرسول العظيمة، وفيها تشريف له صلى الله عليه وسلم. ومن جهة أخرى نجد أن ترك التحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الخصومات، يحمل في طياته معنى التقليل من شأنه عليه الصلاة والسلام فجاءت الإضافة إلى كاف الخطاب رداً على هذا التقليل، من حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم موضع قسم الله سبحانه وتعالى، فلسان الحال يقول: يا محمد أنت عندنا عظيم فلا تكترث لما يفعله هؤلاء من تقليل شأنك والتحاكم إلى غيرك. ومن جهة أخرى نجد أن جعل الرسول صلى الله عليه وسلم جزءاً من المقسم به في التركيب (المضاف والمضاف إليه)، فيه إشارة إلى إثبات نبوته ووجوب طاعته، فإظهاره في اللفظ بمظهر كونه جزءاً من المقسم به (الرب + كاف الخطاب) مدعاة لتعظيمه وبالتالي طاعته فيما يأتي به من أحكام، وقبول ذلك بكل الرضى.

أما قوله تعالى في سورة الحجر آية ٩٢: "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون" فإننا نجد هذه الآية قد وردت في نهايات السورة تقريباً، وفيها إشارة إلى أن ما يعترض عليه المشركون من قريش، مسئولون عنه يوم القيامة، فقد جاءت اعتراضاتهم من بداية السورة إلى نهايتها كثيرة متنوعة منها: اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم مجنوناً "وقالوا يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون"(٨٩)، وطلب الإتيان بالملائكة (٩٠)، ثم الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، ادعاء تسكير الأبصار وأنهم مسحورون وغيرها(٩١)، وهذه الاعتراضات تحمل في طياتها عدم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً مرسلاً، وتقليلاً من شأنه، فجاء

القسم بلفظ الرب مضافاً إليه كاف الخطاب العائدة على النبي صلى الله عليه وسلم ليتناسب وحالتهم تلك من التكذيب والإنكار، لإثبات نبوته وصدق أخباره، ورفع شأنه ومكانته صلى الله عليه وسلم، وتوضح كتب التفسير الأمور التي سيسأل عنها هؤلاء الكفار وهي كما جاء في الكشاف: عما كانوا يعبدون، وثانيها: ماذا أجابوا المرسلين...(٩٢). وما من شك إن سؤالهم عن إجابة المرسلين يناسبه أن يكون المقسم به الرب مضافاً إليه كاف الخطاب العائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها أيضاً ما يرفع شأنه ويعلي مكانته؛ حيث جعلت إجابته موضع سؤال الرب سبحانه وتعالى.

أما قوله تعالى: "فوربك لنحشرنهم والشياطين"، فقد وردت في سورة مريم التي تقرر نبوة عيسى عليه السلام، حيث أنكرها أهل الكتاب، وهذا الإنكار طريق لإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فانصبت الإضافة في القسم على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم "فوربك" واستخدام لفظ الرب هنا لأن بعث الرسل من الأمور المتعلقة بمعنى الربوبية، ومن جهة أخرى، نجد أن سياق الآيات جاء رداً على منكري البعث وإعادة الخلق، حيث يقول سبحانه وتعالى حكاية عنهم: "ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً أولا يرى الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً"(٩٣). أما قوله تعالى: "ويستنبئونك أحق هو...." فإن الضمير (هو) عائد إما على العذاب، وإما على الشرع، وإما على القرآن، وإما على الوعيد، وإما على الساعة،على اختلاف في أقوال المفسرين(٩٤)، وبالرغم من ترجيح العذاب باعتباره المناسب للسياق،إلا إنه لا يستبعد أن يكون الجميع داخلاً في المراد، وكل هذه القضايا من الأمور العظيمة التي تحتاج إلى تأكيد، فجاء القسم جواباً: "قل أي وربي إنه لحق"، ويزيد الحاجة إلى التأكيد، كون السؤال خارجاً مخرج الاستهزاء والإنكار كما قال أبو حيان(٩٥). وقرأ الأعشى "آلحق هو" وهذه القراءة أدخل في الاستهزاء لتضمنها معنى التعريض بأنه باطل؛ وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل: "أهو الحق لا الباطل، أو هو الذي سميتموه الحق"...(٩٦). والإنكار يحسن أن يجاب بأكثر من مؤكد حسب ما هو مقرر في علم المعاني(٩٧). و لم يقع القسم على هذا النمط في القرآن الكريم – أعني وقوعه جواباً مصدراً بأمر رباني– إلا في آيات ثلاث،(٩٨) وهذا الجواب: إما عن سؤال إنكاري "أحق هو" في (سورة يونس ،آية٥٣)، أو جواباً عن خبر يحمل معنى الإنكار في قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم" في (سورة سبأ ،آية٣)، أو خبراً يحمل معنى تأييد النفي (لن) في قوله تعالى: "زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير" في (سورة التغابن، آية(٧).

وفي هذه الآيات الثلاث، استخدم لفظ الرب كمقسم به مضافاً إلى ياء المتكلم العائدة إلى النبي صلى الله عليه وسلم (ربي). أما استخدام لفظ (الرب) – فكما أشرنا سابقاً– لكون المنكر أموراً تتعلق بمعنى الربوبية

كالبعث وإتيان الساعة ووقوع العذاب، أما إضافة الرب إلى ياء المتكلم (الرسول صلى الله عليه وسلم)، ففيها تعريض بالكفار، من حيث كون المقسم به هو رب الرسول صلى الله عليه وسلم القادر على إحداث هذه القضايا، لا أرباب الكفار التي لا تملك لنفسها نفعاً أو ضراً، فالأجدر بكم (أيها الكفار): الإيمان بمن يقدر، وترك ما سواه سبحانه وتعالى. ومن جهة أخرى يمكننا القول: "إن الإيمان بالله في كونه رب الكون، هو قاسم مشترك بين المؤمنين والكفار حيث كان الكفار يعتقدون معنى الربوبية. فناسب الحلف به سبحانه وتعالى على هذا المعنى، وجعل القسم به جواباً مؤكداً، ويمينا بما يعظمونه ويعتقدونه، وهذا أدخل إلى اعترافهم وقبولهم وعودتهم إلى الحق؛ فالقسم بأمر يعظمه الخصم أوقع في نفسه وأشد تأثيراً عليه من الحلف بأمر لا يلقي له بالاً، فناسب الحلف هنا بلفظ الرب سبحانه باعتباره ليس محل نزاع بين الطرفين، السائل المنكر وهم الكفار، والمجيب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا الأسلوب أنسب في إقناع الخصم، ومن ثم الوصول إلى المطلوب وهو حمل الكفار على الإسلام والاعتقاد بالبعث والنشر، والجنة والنار.

وفي الآية الأخيرة من هذه المنظومة، وهي قوله تعالى في سورة الأحقاف "ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون"(٩٩)، نجد أن المقسم به لفظ الرب مضافاً إليه ضمير الجماعة "نا" العائدة إلى الكفار.

ويظهر لنا السر في هذا الأسلوب من خلال مقارنة هذه الآية بقوله تعالى في سورة يونس "ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين"(١٠٠)، ففي سورة يونس، نجد الآية تتحدث عن جوّ الأرض، فهي تصور لنا موقف الكفار من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتصور استهزاءهم بمقومات الإيمان وإنكارهم للبعث بصورة جعله محل استفسارهم واستفهامهم لا على الحقيقة، بل على سبيل الاستهزاء، وهو أشد في الإنكار من غيره من الأساليب، وبالمقابل: الآية في سورة الأحقاف نجدها تتحدث عن جوّ الآخرة، فهي تصور موقف الكفار وهم بين يدي الله سبحانه وتعالى بعد انقطاع ارتباطهم بالحياة الدنيا، وتحقق البعث، واستحقاقهم للنار بسبب إنكاراتهم واستهزاءاتهم السابقة في حياتهم الدنيا.

وفي سورة يونس، نجد السؤال من الكفار على وجه الاستهزاء، وبالمقابل نجد السؤال في سورة الأحقاف من الله عز وجل في المعنى نفسه (التهكم والاستهزاء)، وفي سورة يونس، يؤكد لهم من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالمقابل في سورة الأحقاف، يؤكد الكفار الجواب بأنه حق، وفي سورة الأحقاف، نجد القسم بلفظ الرب مضافاً إلى ضمير المتكلم (نا) العائد إلى الكفار، وفي سورة يونس نجد القسم بلفظ الرب مضافاً إلى ياء المتكلم العائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. من خلال هذه المقارنة يتبين أن الآيتين متناظرتان، تشكل

الثانية منهما (آية الأحقاف) تأويلاً للآية الأولى من باب قوله تعالى "يوم يأتي تأويله"(١٠١)، وتعد كذلك رداً بالمثل من باب قوله تعالى "إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون"(١٠٢).

ومن جهة أخرى نجد أن استخدام لفظ الرب كمقسم به مضافاً إليه ضمير (نا) العائد إلى الكفار، مشعر بأن المقسِم مؤمن بما يقسم به معظم له، على أمل أن يكون هذا الإيمان شفيعاً لهم للخروج من النار، ويؤكد هذا المعنى ما ذهب إليه الصابوني بقوله "إنهم أكدوا لكلامهم بالقسم طمعاً في الخلاص"(١٠٣)، وهم باستحضارهم لهذه الصورة القسمية يقرون بنقيض ما كانوا عليه في الحياة الدنيا من الكفر، وكأنهم يريدون إخراج ما كان مستحيلاً عندهم في الدنيا (وهو الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى إلهاً)، بصورة الممكن الثابت طلباً للعفو والرحمة.

مما سبق يتبين أن تنوع المقسم به بعد الواو ما بين لفظ الجلالة، ولفظ الرب بإضافاته المختلفة، وبعض المخلوقات الأخرى، يفضي إلى تنويع في دلالة السياق، واعتبارات تذهب إلى أبعد من كون القسم خارجاً مخرج التوكيد فحسب.

وقد تحذف الواو ويبقى عملها ، وهذه الصورة لم يرد لها تمثيل في القرآن الكريم **

وقد ينوب عن الواو في القسم حروف أخر ، وهذه الصورة لم يرد لها تمثيل في القرآن الكريم أيضاً ***

حرف القسم الباء :

يأتي حرف الباء في اللغة لمعان كثيرة منها، الدلالة على القسم، قال الزجاجي: "واعلم أن الواو والباء تدخلان على كل محلوف به..."(١١٤) ويتميز حرف الباء من الواو بما يأتي:

١- جواز إثبات فعل القسم وفاعله مع الباء أو حذفهما نحو: أقسم بالله لأعاونن الضعيف، أو بالله لأعاونن الضعيف، أما غير الباء فيجب حذف فعل القسم وفاعله.

٢- جواز أن يكون المقسم بالباء اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً نحو: برب الكون لأعملنّ على نشر الإسلام، "بك لأنزلن عند رغبتك الكريمة"، أما غير الباء فلا يجر إلا الظاهر.

٣- جواز أن يكون القسم بالباء استعطافياً، (وهو الذي يكون جوابه إنشائياً، نحو: "بالله هل ترحم الطائر الضعيف والحيوان الأعجم"؟، بربك أموافق أنت على تأييد الضعفاء"؟. أما القسم بغير الباء فمقصور على القسم غير الاستعطافي"(١١٥).

وعند تتبع مظان القسم بوساطة حرف الباء في القرآن الكريم يتبين لنا ما يأتي: أن الباء لم تدخل إلا على اسم ظاهر، و لم ترد أية صورة تبين دخولها على ضمير بارز مع جواز ذلك في أساليب اللغة. كما يتبين أنه حيثما تذكر الباء

كحرف قسم، يؤت بفعل القسم معها، إلا في صور قليلة لا تصفو أن تعد نصاً في القسم، بل تحتمل القسم وغيره. وهذا الفهم قد توصل إليه من قبل بعض أهل العلم؛ قال الزركشي: "وفي القرآن الكريم، نجد أن أكثر الأقسام المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء، أتي بالفعل كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" (١١٦)، وقوله: "يحلفون بالله لكم ليرضوكم" (١١٧)، ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلا "(١١٨).

وهذه الصورة الأخيرة من قول الزركشي "صورة ورود الباء كحرف قسم دون ذكر فعل القسم، هو ما يعنينا بحثه في هذا الموطن. وعند تتبع هذه الصورة وجدنا مصداقية ما ذهب إليه الزركشي من أنها قليلة الورود، فقد وردت هذه الصورة وتمثلت في بضع آيات فقط على النحو الآتي:

١- في سورة لقمان من خلال قوله تعالى: "وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (١١٩)، على أن الباء للقسم وليست متعلقة بـ "تشرك"، والمعنى: يا بني لا تشرك ثم أكد فقال: "بالله لا تشرك" وحذف "لا تشرك" لدلالة السابق عليه. وفي ضوء هذا الفهم للآية تكون باء القسم قد دخلت على لفظ الجلالة، ووقعت اعتراضاً بين جملة النهي التي يراد بها النصح و الإرشاد وبين جملة تعليل هذا النصح في ذيل الآية "إن الشرك لظلم عظيم". وإذا علمنا أن الاعتراض هو: "أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعرا ب"(١٢٠)، وأنه يأتي لأغراض عند البلاغيين، أمكننا إلقول: إن الغرض البلاغي من ذلك قد يعود في الآية إلى تأكيد النصح والإرشاد.

٢- في سورة الزخرف من خلال قوله تعالى: "وقالوا يآيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون"(١٢١)، على عد قوله تعالى "بما عهد عندك " قسماً وقع اعتراضاً بين جملة الأمر " ادع "، وقوله (إننا لمهتدون).

والمسوغ لاعتبارها قسماً في هذا الموطن، أنها تفسر بمعنى النبوة (١٢٢)، ناهيك عن أن الطلب وقع من فرعون وقومه، والمخاطب هو موسى عليه السلام، والمعنى: إنهم أقسموا بنبوه موسى عليه السلام. وقد يكون المعنى المراد من قوله تعالى (بما عهد عندك)، هو استجابة الدعاء، فيكون معنى القسم عندئذ: نقسم بدعائك المستجاب يا موسى (١٢٣)، ويرشح هذا المعنى استخدامهم (يا أيها الساحر) بمعنى: أيها العظيم (١٢٤)، فهي هنا صفة مدح لا صفة ذم، بالإضافة لما يحمله حرف النداء من بعد المترلة.

أما الغرض البلاغي المستفاد من هذا الاعتراض بالقسم، فهو تأكيد الإيمان من قبل فرعون وقومه لإرادة دفع العذاب الذي وقع عليهم من الله بمخالفتهم موسى عليه السلام، والدليل على ذلك: أن الله عز وجل قد رفع عنهم ذلك العذاب بعد القسم، قال تعالى: "فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون)"(١٢٥).

٣- في سورة المائدة من خلال قوله تعالى: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب"(١٢٦)، فتقف على "لي" وتبتدئ "بحق" فتجعله قسماً.

فقوله تعالى (بحق) وقع قسماً معترضاً في النص على اعتبار أن الوقف على (ليس لي)، ثم الاستئناف(بحق)، والاعتراض واقع كما هو واضح بين النفي (ما ليس لي)، وجملة الشرط (إن كنت قلته)، والموجب البلاغي لهذا الاعتراض – كما يفهم من الآية – هو تأكيد تنزيه الله سبحانه وتعالى حال الوقف على (بحق) وكأن المعنى عندئذ: سبحانك بحق سبحانك، أو تأكيد علم الله المطلق إذا اعتبرنا الوقف على (ليس لي) ثم الاستئناف (بحق إن كنت) بدليل تذييل الآية بقوله سبحانه (إنك أنت علام الغيوب).

٤- في سورة النساء من خلال قوله تعالى: "فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً"(١٢٧) فقد وقع القسم بالباء معترضاً بين جملة (يحلفون)، وبين جملة (إن أردنا) أي بين الحلف وجوابه، والغرض من هذا الاعتراض، تأكيد جملة القسم (يحلفون).

وإذا اعتبرنا أن الوقوف على جملة (يحلفون)، ثمَّ الاستئناف بجملة (بالله إن أردنا ...)، تصبح الجملة الثانية مفصولة عن الأولى فصل المفسَّر عن المفسِّر، أي: عد الجملة الثانية تفسيرا بيانياً لمعنى الحلف، وذكر المفسِّر والمفسَّر معاً يعد نوعاً من الإطناب أتي به من أجل التوكيد.

٥- في سورة التوبة من خلال قوله تعالى: "لو كان عرضاً قريبا وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون" (١٢٨)، فقد وقعت (بالله) قسماً معترضاً بين الحلف وجوابه الاستعطافي (لو استطعنا ..).

٦- وكذلك قوله تعالى في السورة نفسها: "ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون" (١٢٩)، وذلك باعتبار(بالله) قسماً معترضاً بين فعل القسم (يحلفون) وجوابه (إنهم منكم).

٧- وفي السورة نفسها أيضاً من خلال قوله تعالى: "يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"(١٣٠)، على اعتبار أن (بالله)قسم معترض بين فعل القسم (يحلفون)وبين (لكم ليرضوكم). ويضعف الذهاب إلى معنى الاعتراض – في هذه الآية الأخيرة – بالقسم، أنه يؤدي إلى الفصل بين الفعل (يحلفون) ومتعلقه (لكم).

أما الغرض البلاغي من استخدام الاعتراض بالقسم في هذه الآيات الثلاث، فلا يخرج عن قصد التوكيد لما تضمنته الجمل من أحكام كما سبق ذكر ذلك في آية سورة النساء.

٨- في سورة (ص آية٨٢)قوله تعالى :(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) .ويظهر أنها الآية الوحيدة - من بين هذه المجموعة – التي خلصت للقسم ، وقد جاءت على لسان إبليس اللعين كما هو واضح من السياق،أما تخصيص العزة مضافة إلى كاف الخطاب ،فمرد النكتة فيه تعود إلى أن المقام مقام غضب يتمثل في طرد إبليس من رحمة الله ، وانصباب اللعنة عليه إلى يوم الدين من جهة ،وتصميم إبليس على الانتقام من آدم وذريته باعتباره المسبب لذلك الطرد ، فالأنسب للموقف القسم بالعزة بمعنى القوة والمنعة لا بمعنى الندرة.

وعند التمحيص والتدقيق، نجد أن جميع هذه الأمثلة القرآنية قد دخلت فيها باء القسم إما على لفظ الجلالة وهو الأكثر وإما على قوله (بما عهد عندك)، وإما على قوله تعالى (بحق)، وإما (بعزتك)، والباء ومدخولها- عدا الآية الأخيرة - محتملة للقسم ولغير القسم ، وإنما أوردناها ها هنا لإبراز ما يمكن إبرازه من النكات البلاغية في هذا الوجه المحتمل، ولبيان أن الأسرار البلاغية ثرة متزاحمة في النص القرآني كيفما حمل على وجه محتمل. بل إن حملها على غير القسم يزيد من تزاحم النكات البلاغية وهو أولى (عندي) لأسباب (١٣١-١٣٣).

مما سبق يمكننا القول: بأن ورود حرف القسم الباء نائباً عن فعل القسم، ليس له تمثيل في كتاب الله عز وجل- إذا استثنينا الآية الثانية والثمانين من سورة ص - إلا من خلال أمثلة محتملة للقسم ولغيره، بل إن حملها على غير القسم أولى من حملها عليه كما ظهر، ونخلص مما سبق أيضاً إلى القول: بأن الباء في القرآن الكريم تأتي مع فعل القسم، وقد خصت بذكر الفعل من نحو: أقسم بالله ...(١٣٤)، وتأتي بدونه نادراً، أما فيما يتعلق بكون القسم فيها استعطافياً، فهو ظاهر في بعض ما ذكر من الآيات، وفي حالة حذف متعلق حرف الباء فإن بعض النحاة يحملون القسم الاستعطافي بالباء [في غير القرآن]، على أن الباء ومدخولها، متعلق بفعل محذوف تقديره: أسألك؛ فقولهم: "بالله قام زيد، معناه، أسألك بالله هل قام زيد؟" ...(١٣٥).

أما في حالة عد الآيات السابقة الذكر من باب الحلف، وحملت الباء ومتعلقها على أنها للقسم، فيكون المعنى الظاهر المستفاد من هذا الاعتراض هو التوكيد، والقسم عندئذ اعتراض بين أجزاء النص.

الباء بين الحذف والذكر:

المسألة الأخيرة في بحث موضوع الباء كحرف قسم نائب عن فعل القسم، تتعلق بحذفها،فقد تحذف الباء وحدها إذا كان مجرورها في القسم لفظ الجلالة (الله) نحو: "الله لأكثرن من العمل النافع" أي: بالله ...(١٣٦)،

وفي همع الهوامع ما نصه: "وجاز حذفها(أي: الباء) لا غيرها من أحرفه(أي: القسم) فينصب تاليها بإضمار فعل القسم ... أو فعل آخر (كإلزم) ونحوه. ويرفع على الابتداء والخبر محذوف وروي بهما قول (امرئ القيس):

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

(برفع ونصب يمين)، ولا تجر (خلافاً لمن جوز الجر) بالحرف المحذوف ... فإن كان المقسم به (الله) وعوض عن حذف الباء (هاء) محذوفة الألف لالتقاء الساكنين، أو ثابتة لأن الثاني مشدد فنزل منزلة دابة (بتشديد البلء) مع وصل ألفه وقطعها نحو: هالله، هألله، هالله، أو عوض همزة ممدودة مفتوحة نحو: آلله لأفعلن...أو لم يعوض ولكن قطع ألفه نحو: ألله لأفعلن، جر، ويقل الجرفيه بدونه (أي التعويض). حكى سيبويه: "الله لأفعلن"، وحكى غيره: "كلا الله لأخرجن"، وأنشدوا: ألارب من تغتشه الله ناصح، وإنما جاز ذلك في هذا اللفظ فقط؛ لأن استعماله في القسم أكثر من غيره..." (١٣٧). و لم يرد مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم إلا في آية واحدة محتملة لأن يكون المحذوف حرف الباء أو حرف الواو، وقد عالجنا ذلك عند الحديث عن: حذف الواو مع بقاء عملها في الحاشية.

حرف القسم التاء:

ومن حروف القسم التي ورد استعمالها في القرآن الكريم، حرف التاء، وعن كيفيات استعمالها في اللغة يحدثنا أهل اللغة والنحو، قال الفيروز أبادي في قاموسه: والمحركة في أوائل الأسماء حرف جر للقسم، ويختص بالتعجب، وباسم الله تعالى، وربما قالوا: تربّي، وترب الكعبة، وتالرحمن" وتحياتك... (١٣٨). قال الزجاجي: "ولا تدخل التاء إلا على لفظ الجلالة "الله" عز وجل... (١٣٩).

والتاء عند بعضهم بدل من الواو؛ فلذا لا تستعمل مع فعل القسم والسؤال، وتختص بالظاهر وباسم واحد، وهو اسم الله تعالى، فلا يقال: ترب الكعبة" (١٤٠). وعند تتبع الاستعمال القرآني لهذا الحرف، نجد أنه لم يرد إلاّ على هذه الشاكلة، "تالله" أي: إن المقسم به، اسم ظاهر وهو لفظ الجلالة فقط، وقد ورد في تسعة مواضع: منها أربعة في سورة يوسف عليه السلام... (١٤١). واثنين في سورة النحل، وواحد في كل من الأنبياء والشعراء والصافات... (١٤٢).

ومن خلال تحليل النصوص الواردة في استعمال التاء في القسم، تبين أنها جميعا لها تعلق ببني إسرائيل وأصولهم،سواء أكان هذا التعلق نصاً أم بالتأويل؛ففي سورة يوسف عليه السلام تعلقت السياقات بيعقوب عليه السلام وأبنائه وأتباعه فقوله تعالى: "تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض" (١٤٣) وقوله تعالى: "تالله

لقد آثرك الله علينا"(١٤٤) قسم من إخوة يوسف وقوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف"(١٤٥) وقوله تعالى: "تالله إنك لفي ضلالك القديم"(١٤٦) قسم من حول يعقوب وأبنائه عليه السلام.

أما بقية النصوص القرآنية فهي أيضا الخطاب فيها محتمل لأن يكون متعلقا ببني إسرائيل؛ فقوله تعالى: "وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين"(١٤٧)، قسم صادر عن إبراهيم عليه السلام جد الأنبياء من أبناء إسماعيل وإسحاق، أما قوله تعالى: "تالله إن كدت لتردين" (١٤٨) فقد وردت الآية في معرض الحديث عن رجلين من بني إسرائيل ذكرا في سورة الكهف من خلال قوله تعالى"واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا... " (١٤٩) أحدهما مؤمن دخل الجنة، والثاني دخل النار بكفره، فتذكر المؤمن صاحبه فأحب أن يعرف حاله وعندما اطلع فرآه من أهل الجحيم قال هذا القسم، قال الشوكاني: "قيل هما أخوان من بني إسرائيل... "(١٥٠).

أما قوله تعالى "تالله إن كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين"(١٥١)، فقد وردت في معرض الختام لقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه حين كانت النتيجة أن ألقى كل من عبد الأصنام والأصنام على رؤوسهم في جهنم من قوم إبراهيم عليه السلام وأمثالهم من قوم محمد صلى الله عليه وسلم فيقسم عباد الأصنام هذا القسم... (١٥٢).

أما قوله تعالى في سورة النحل: "يجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون"(١٥٣) فقد وردت في سياق الحديث عن الشرك واتخاذ إلاهين اثنين من خلال قوله تعالى في الآيات السابقة "وقال الله لا تتخذوا إلاهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون"(١٥٤)، ومن المعلوم أن اليهود هم ممن قالوا بإلهين اثنين حيث اعتبروا عزيراً إلها قال تعالى: "وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله"(١٥٥).

وكذلك الحال في قوله تعالى: "تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم"(١٥٦). فالقسم يتعلق بذكر الأمم السابقة ومن أكثرهم وروداً في القرآن الكريم اليهود الذين اختلفوا في الكتاب ويزيد تخصيص الأمر باليهود من خلال قوله تعالى: "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون"(١٥٧). والمختلفون هم أهل الملل والأهواء، وما اختلفوا فيه هو الدين مثل التوحيد والشرك والجبر والقدر(١٥٨)، واليهود كما هو معلوم أكثر الناس اختلافا في أمر الدين.

مما سبق يتبين لنا أن لاستخدام حرف القسم التاء خصوصية في القرآن، وهي استعماله في القسم أكثر ما يكون، عندما يكون الحديث عن بني إسرائيل، ومن الجدير بالذكر، الإشارة إلى أن استخدام هذا الحرف في

الشعر نادر، وقد تتبعت بعض كتب النحو لأعثر على شاهد شعري يبين استخدام "تالله" مقسما به فلم أجد إلا ما أرشدني إليه بعض أهل العلم من قول زهير بن أبي سلمى:

تالله قد علمت سراة بني ذبيان عام الحبس و الأصر

أن نعم معترك الجياع إذا خب السفير و سابئ الخمر (١٥٩)

وقول الخنساء:

تالله أنسى ابن عمر الخير ما نطقت حمامة أو جرى في الغمر علجوم (١٦٠)

وقول امرئ القيس:

تالله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبير مالكا و كاهلا (١٦١)

في ضوء ذلك يمكنني القول: إن التاء حرف قسم أكثر ما يستعمل في النثر.

أما اختصاص التاء في إفادة التعجب مع القسم... (١٦٢). فيظهر ذلك جلياً عند تحليل قوله تعالى على لسان من حول يعقوب عليه السلام عندما تبين لهم استمراره بذكر يوسف عليه السلام إلى درجة يتعرض من خلالها للمخاطر من فقدان البصر والهلاك، نجدهم يتعجبون من هذه الحالة المغايرة للحد الطبيعي عند الناس من خلال قوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين"(١٦٣)

وفي قوله تعالى"تالله لأكيدن أصنامكم..."(١٦٤)، فقد ورد القسم حاملاً معنى التعجب على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويحدثنا عن معنى التعجب في هذه الآية الإمام جار الله الزمخشري في معرض حديثه عن الفرق بين التاء والباء في القسم فيقول: "فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: إن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره، ولعمري، إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصاً في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه... (١٦٥).

ومع أن بعض النحاة يعدون التاء بدلاً من الواو ونائبة عنها فإني لم أعثر على آية تفيد استخدام التاء كما استخدمت الواو؛ في كون المقسم به مخلوقات ربانية عظيمة، تشعر المخاطب بدلائل قدرة الله تعالى، وبهذا يكون حرف التاء أخص في الاستعمال من حرف الواو.

وتشعرنا إحصائية استعمال التاء كحرف قسم في القرآن بقلة هذا الاستعمال بحيث نحكم عليه أنه حرف غريب، هذه الغرابة التي تتناسب في الاستعمال القرآني مع سياق الجمل التي ظهرت فيها من الجهة اللفظية، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف" انظر إلى هذا التناسب الصوتي العجيب بين الفعل (تفتؤ) وبين (تذكر) واستخدام حرف القسم (التاء)!.

وإذا حاولنا تغيير حرف القسم، فإن الانسياب اللفظي، وسهولة النطق تتغير، وقد بين علماء فقه اللغة أن مبنى العربية يخضع لأسباب صوتية"، قال الرافعي: "إن تأليف الكلام في هذه اللغة مبني على أسباب لسانية من عذوبة المنطق ومراعاة النسب اللفظي بين الحروف بحيث لم يلاق فيه بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة وحسن السمع... (١٦٦). ويقاس عليه أيضاً قوله سبحانه وتعالى "ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون" (١٦٧). حيث التناسب اللفظي والجرسي المؤتلف بين التاءات في كلمات هذه الآية.

وكما يجري هذا التناسب في الحروف في الكلمة، يجري فيما بين الكلم. وقد سمى السيوطي هذا اللون بائتلاف اللفظ مع اللفظ وذكر نص الآية "تالله تفتؤ تذكر يوسف"(١٦٨) وقال: "أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء فإنه أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار وهي "تفتأ" فإن تزال "أقرب إلى الإفهام وأكثر استعمالا من "تفتأ" وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو (حرض)؛ فاقتضى حسن الوضع، أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف الألفاظ لتتعادل في الوضع وتتناسب في النظم. ولما أراد غير ذلك قال "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها(١٦٩). والخلاصة: إن استخدام حرف القسم التاء قد يراد به إجراء التناسب فيما بين الألفاظ في جرسها الموسيقي في بعض صيغ القسم. وهناك حروف أخر تستخدم في القسم لم يرد لها تمثيل في كتاب الله عز وجل.

الخاتمـــــة:

في ضوء التحليل السابق، وسبر أغوار النصوص المتعلقة بالقسم بواسطة الحـــروف، أمكننـــا اســـتخلاص مجموعة من النتائج التي تتمثل فيما يأتي:

أولاً: إن ظاهرة القسم بوساطة الحروف تمثل مساحة لا بأس بها من رقعة الأساليب العربية.

ثانياً: إن نكات بلاغية تلمح من خلال تغيير صور التعبير القسمية، وانحراف هذه الصور عن المعيـــار النســـبي للقسم.

ثالثاً : إن هذه الأسرار والنكات لا تتوقف عند الغرض العام للقسم وهو التأكيد، بل تتعدى إلى أغراض أخرى تظهر من خلال السياقات كالإغراب، أو التناسب الموسيقي لألفاظ الجملة القسمية، أو العبرة من خـلال رسم الصور القسمية في مستوى جمالي عالي الجودة.

رابعاً: إن القسم بوساطة الحروف قد لا يكون محصوراً على ذات القسم، بل قد يخرج على خلاف مقتضـــى ظاهره لإفادة معان جديدة كتعظيم المقسم به أو اعتباره رمزاً وإشارة إلى غيره.

خامساً: إن هذه الحروف التي نابت عن القسم تجتمع في أصل وضعها على معنى القسم ولكنـــها تفـــترق في خصوصيات الاستخدام والأداء وأساليبها، فهي تحمل معاني ثانوية غير المعنى العام للقسم.

سادساً:إن دراسة الحروف التي تنوب عن القسم، تصب في رسالة الحرف التي تعد جزءاً من دراسة أســـاليب القرآن البلاغية، التي تصب في النهاية في ظاهرة الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

سابعا: إن النسب الإحصائية الواردة لهذه الحروف في القرآن الكريم، تشـــير إلى تفـــاوت في عـــدد مـــرات استخداماتها، إذ نجد أن أكثرها استخداماً هو حرف الواو ويليها حرف الباء ثم حرف التاء، كما نجـد أن هناك من حروف القسم ما لم يرد له تمثيل البتة كالهاء واللام والهمزة.

ثامناً: إن بعض هذه الحروف مثل الباء مثلاً، لم يقع على معنى القسم وحده إلا بشيء من التكلف والتحميـــل على النص أكثر مما يجب ولي أعناق النصوص، لتتناسب مع معنى القسم.

تاسعاً: تبين من الدراسة أيضاً أن إسقاط كيفيات القسم على واقع الجمل القرآنية يخضع لاعتبـــارات عقديـــة محضة في كثير من السور، حيث تتحدد مساحات الجواز الشرعي للصورة القســـمية في ضـــوء تلـــك الاعتبارات.

الهوامـــش

١- د. إبراهيم عبد الجواد. الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، عمان: وزارة الثقافة، ص ٤٥.

٢- سورة النحل، آية: ٣٨.

٣- سورة النازعات، آية: ١-٦.

٤- سورة الروم، آية: ٥٥.

٥- سورة الضحى، آية: ١-٣.

٦- سورة فاطر، آية: ٤٢، وانظر: الأعراف، آية ٤٩، إبراهـــــيم ٢٤، المائـــــدة ٥٣، النحـــل ٣١، النور ٥٣، القلم ١٧.

٧- سورة الفجر، آية: ١-٥ و انظر: التين١، الذاريات ١، النازعـــات ١، الـــبروج ١، الطارق ١١، الطور ١-٥.

٨- سورة آل عمران، آية: ١٨٦، وانظر: الحشر١٢، المائدة ٢٢، ٨٢، الأحزاب ٦٠، التكاثر ٦.

٩- سورة النساء، آية: ٦٢، وانظر: التوبة ١٠٧، ٧٤، ٦٢، ٥٦، ٤٢، المجادلة ١٨.

١٠- سورة القلم، آية: ٣٩.

١١-سورة التوبة آية: ٧٥.

١٢-سورة الأحزاب، آية ١٥، وانظر البقرة ٨٣، ٨٤، ١٢٥، آل عمران ٨١، ١٨٣، ١٨٧، المـــائدة١٢، الأعراف ١٣٤، ١٦٩، طه ١١٥، يس ٦٠.

١٣- سورة النور، آية: ٥٥.

١٤-سورة هود، آية: ٢٢، وانظر: النحل ٢٢، ٦٢ ، ١٠٩، غافر ٤٣.

١٥-انظر السور والآيات التالية: المائدة ٥٣، ١٠٦، ١٠٧، الأنعام ١٠٩ الأعراف٢١، ٤٩، إبراهيـــم ٢٤، النحل ١٣٨، النور ٥٣، النمل ٤٩، الروم ٥٥، فاطر٢٢، المعارج ٤٠، الواقعة ٧٥، القيامـة ١، ٢، التكوير ١٥، الانشقاق ١٦، البلد ١.

١٦- سورة فاطر: آية :٤٢.

١٧-سورة المائدة آية: ١٠٧.

١٨-سورة الواقعة، آية ٧٥.

١٩-سورة النور، آية ٥٣.

٢٠-أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. الجمل في النحو، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، ط ١، إربد: دار الأمل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٧٠.

٢١-عباس حسن. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف ج ٢، ص ٤٧٧.

٢٢-السابق، ص ٥٠٦.

٢٣-الزجاجي. الجمل في النحو، ص ٧٢.

٢٤-عثمان سليمان مراد. السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي، ط، عمان: مطبعة الشرق ومكتبتها، بدون تاريخ، ص١٤.

٢٥-شمس الدين بن محمد بن سليمان ابن كمال باشا، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن، عمان: دار الفكر، ص٢٨١.

٢٦-عباس حسن. النحو الوافي، ج ٢، ص ٤٣٤.

٢٧-سورة الفجر ، آية: ١-٢.

٢٨-سورة الشمس، آية: ١.

٢٩-سورة مريم، آية: ٦٨.

٣٠-سورة يونس، آية: ٥٣.

٣١-سورة الأحقاف، آية: ٣٤.

٣٢-سورة الأنعام، آية: ٢٣.

٣٣-الزجاجي. الجمل في النحو، ص ٧٢.

٣٤-انظر على سبيل المثال: سورة الطارق آية١، الطور آية ١، ٢، التين آية١-٣، الصافات آية١-٣، المدثر أية٣٢-٣٤.

٣٥-أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف، تحقيق وتعليق: د عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٤٠١هـ-١٩٨١م،ص٦١،وانظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط ٣ بيروت: ١٩٨٧م، ص ١٧٤٦.

٣٦-سورة يس، آية: ٢.

٣٧-ابن كمال باشا. أسرار النحو، ص ٢٨١.

٣٨-انظر السور والآيات الآتية: النازعات ١-٤، المرسلات ١، الذاريات ١، الصافات ١.

٣٩-انظر السور الآتية: المدثر ٣٣، الضحى ٢ والعصر ٢، التكوير ١٧، الفجر٢، ٤، الليل ١، الانشقاق١٧.

٤٠-انظر السور والآيات الآتية: المدثر ٣٤، التكوير ١٨، الضحى ١، العصر ١، الفجر١، الليل ٢، الشمس٣.

٤١-قوله تعالى من سورة البلد آية ٣: (ووالد وما ولد) على معنى: أقسم بالوالد والمولود عند بعض المفسرين. انظر: الرازي. التفسير الكبير، ج٣١، ص١٨٠.

٤٢-سورة الطور، آية: ٤ (والبيت المعمور).

٤٣-سورة البلد، آية: ١.

٤٤-قوله تعالى "والتين والزيتون"، أشار بعض المفسرين إلى أن المراد بالمقسم به هنا: بيت المقدس.

٤٥-سورة الطور، آية: ١، وسورة التين، آية: ٢.

٤٦-انظر السور الآتية: يس ٢، ق ٢، الزخرف ٢، الدخان ٢.

٤٧-انظر: الطارق ١٢، الشمس ٦.

٤٨-انظر: الطور ٥، البروج ١، الذاريات ٧، الطارق ١١، الشمس ٥.

٤٩-٤٩- انظر: الانشقاق ١٨، الشمس ٢.

٥٠-الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، جامع الترمذي، شرح: محمد بن عبد الرحمن المبار كفوري، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ج ٤، ص١١٠.

وانظر: أبا بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي. السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: دار الباز، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، ج١، ص ٢٩.

٥١-الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، إخراج وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، ج١، ص ١٠٧.

٥٢-أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وزميله، الرباط: وزارة الأوقاف المغربية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، ج٢، ص ٣٦٧.

٥٣-السابق: ج٢، ص٣٦٨ .

وانظر: الشيخ سليمان بن عبد الله عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ، ص ٥٩١.

٥٤-الشيخ سليمان بن عبد الوهاب. تيسير العزيز الحميد: ص ٥٩٢.

٥٥-السابق: ص ٥٩٣.

٥٦-شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، ا لتبيان في أقسام القرآن، تحقيق عصام فارس وخرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغيلي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ -١٩٩١م، ص ٦.

٥٧-سورة القصص، آية: ٧١.

٥٨-ابن القيم. التبيان في أقسام القرآن، ص ٦.

٥٩-سورة التين، آية: ١.

٦٠-فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٣ بيروت: دار إحياء التراث،ج٣١، ص ٧٣.

٦١-د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، (دراسة لغوية بيانية)، مصر: دار المعارف، ص٢٤٨.

٦٢-السابق: ص ٢٥١، وانظر كتابها: التفسير البياني، ط٤، مصر: دار المعارف، ج١، ص ٢٧.

٦٣-سورة آل عمران، آية: ٢١.

٦٤-سورة الأنعام، الآيات: ٢١ - ٢٤.

٦٥-الرازي. التفسير الكبير، ج٩، ص١٨١.

وانظر: أبا حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي. البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج٤، ص ٩٤.

٦٦-سورة غافر، آية: ١٩.

٦٧-سورة الأنعام، آية: ٥٩.

*الأسلوب الحكيم : تلقي المخاطب بغير ما يترقب، والسائل بغير ما يتطلب. انظر: أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية، ط ٢ ص ١٢٠.

٦٨- القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر الشيرازي البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، ج٢، ص ٣٩٩.

وانظر: محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير، ط٤، بيروت: دار القرآن الكريم ١٩٨١م، ج١، ص٣٨٤.

٦٩- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج٤، ص٩٤.

٧٠-الشيخ سليمان بن عبد الله عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ، ص ٢٨.

٧١-سورة الحشر آية: ٢٣-٢٥.

٧٢- سليمان بن عبد الوهاب. تيسير العزيز الحميد، بتصرف، ص ٣٠.

٧٣-أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج١، ص٢٣٨.

٧٤- السابق ج١، ص٢٣٨.

٧٥- سورة ص، آية: ٥.

٧٦- سورة الأنعام، آية: ١٩.

٧٧- محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ونخبة من علماء المسلمين. مجموعة التوحيد، نشر وتوزيع السعودية: رئاسة إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص ١٥.

٧٨- صدر الدين محمد بن علاء الدين أبو العز الدمشقي الحنفي. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء ط٥ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ ، ص ٧٦ - ٧٧.

٧٩- سورة الذاريات، آية: ٢٢- ٢٣.

٨٠- سورة النساء، آية: ٦٥.

٨١- سورة الحجر، آية: ٩٢.

٨٢- سورة مريم، آية: ٦٨.

٨٣- سورة يونس، آية: ٥٣.

٨٤- سورة سبأ، آية: ٣.

٨٥- سورة التغابن، آية: ٧.

٨٦- سورة الأنعام، آية: ٣٠.

٨٧ - ابن القيم . التبيان في أقسام القرآن، ص٤٢١.

٨٨- سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦٥.

٨٩- سورة الحجر، آية: ٦.

٩٠- سورة الحجر، آية: ٧، وهي قوله تعالى "لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين".

٩١- سورة الحجر، آية: ١١، وهي قوله تعالى: "وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون "، وآية ١٤ وهي قوله تعالى: "ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون".

٩٢- جار الله محمود بن عمر الزمخشري. حقائق التنزيل وعيون الأقاويل مع وجوه التأويل، بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص ٣٩٩.

وانظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار المعرفة، ج٣، ص١٤٥.

٩٣- سورة مريم، الآيات: ٦٦-٦٨.

٩٤- أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط، ج٥، ص ١٦٨.

وانظر: ١ - الإمام علاء الدين علي بن محمد إبراهيم الخازن. لباب التأويل في معاني التنزيل، دارالفكر، ج٢، ص٢٩٧.

٢ - سيد قطب. في ظلال القرآن، ط٧، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م، ج ٤، ص٤٤٨.

٩٥- أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط، ج ٥، ص١٦٨.

٩٦- الزمخشري. الكشاف، ج٢ و ص٢٤٠.

٩٧- أحمد مطلوب. أساليب بلاغية (الفصاحة والبلاغة والمعاني) ط١، الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٨٠م، ص ٩٢.

٩٨- الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، ط٧ بيروت: دار القرآن ١٩٨١م، ج ٢، ص ١٩٧.

٩٩- سورة الأحقاف، آية ٢٤.

١٠٠- سورة يونس، آية ٥٣.

١٠١- سورة الأعراف، آية: ٥٣.

١٠٢- سورة هود، آية: ٣٨.

١٠٣- محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير، ط٤ بيروت: دار القرآن الكريم ١٩٨١م، ج٣، ص٢٣٢.

**هناك من النحاة – مثل سيبويه – من يعتبر الواو حرف قسم قائماً بذاته لا نائباً عن فعل القسم-كما يفهم من كلامه- وعلى هذا الاعتبار يمكن حذفه مع بقاء دليل على ذلك الحذف، وقد ذكر بعض النحاة أنه (قد تحذف أداة القسم (منها الواو) وحدها مع بقاء الاسم المجرور بها على حاله بشرط أن يكون الاسم لفظ الجلالة (الله) مثل: "الله لأساعدن الضعيف" أي: "والله "، (١٠٤)، وحذفه ساعتئذ للاختصار وكثرة الاستعمال، قال صاحب الكتاب: "ومن العرب من يقول: اللهِ لأفعلنّ، وذلك أنه أراد حرف الجر، وإياه نوى، فجاز حيث كثر في كلامهم، وحذفوه تخفيفا وهم ينوونه ،كما حذف(رب) في قوله(أحد شعراء بني العنبر):

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة لعطف و ما يخشى السماة ربيبها

إنما يريدون: رب جداء، وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم: لاه أبوك،حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى،ليخففوا الحرف على اللسان وذلك ينوون" (١٠٥). والبصريون لا يجيزون حذف حرف القسم وإبقاء عمله من غير عوض إلا في اسم الله خاصة، والكوفيون يجيزونه في كل اسم (١٠٦). وعند تتبع مظان وجود هذه الصورة التعبيرية في كتاب الله عز وجل، لم أجد إلا آية واحدة نظنها محتملة لهذا الوجه، وهي قوله تعالى في سورة إبراهيم: "اللهِ الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد"(١٠٧)، فقد قُرئ لفظ الجلالة (الله) بكسر الهاء عند بعض القراء، قال أبو حيان :"قرأ نافع وابن عامر بالرفع ... وقرأ باقي السبعة والأصمعي عن نافع (الله) بالجر"(١٠٨).

فإذا اعتبرنا أن التقدير في المعنى: (والله) على معنى القسم، يكن ذلك تأكيداً لمعنى الآية السابقة على هذه الآية وهي قوله تعالى: "ألر، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد"(١٠٩)، ويصبح المعنى ساعتئذ: والله، إن هذا كتاب منزل إليك مخرج من الظلمات إلى النور، والموجب للقسم عندئذ، هو كون الكتاب منزلاً على محمد-صلى الله عليه وسلم- مخرجاً من الظلمات إلى النور، محل نظر وتردد في اعتقاد المخالفين. ومن الأمانة العلمية الإشارة إلى أنني لم أجد – في ما اطلعت عليه- من المفسرين أو النحويين من ذهب إلى هذا الرأي في الآية، علماً أنها محتملة لغير معنى القسم، بل إن حملها على غير معنى القسم أقوى من حملها على معناه (١١٠)، فقد جاء في إعرابها ما قاله العكبري: "(الله الذي) يقرأ بالجر على البدل"(١١١)، أو على عطف البيان لـ(العزيز الحميد) عند الزمخشري؛ لأنه جرى مجرى الأسماء والأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا"(١١٢). وقرأ نافع وابن عامر(الله) بالرفع ، والتقدير: (الله الذي)،أو(هو الله)،وهذا الإعراب أمكن عند أبي حيان الأندلسي لظهور تعلقه بما قبله...(١١٣)

*** مع أننا نرى أن يكون حرف الواو نائباً عن فعل القسم، فإننا لا نعدم من يعده أصلا،لا نائبا ،وعلى هذا الاعتبار، قد تنوب عنه حروف أخر في أداء القسم وهو ما سنوضحه، حيث أقول: من المسائل المتعلقة بحرف القسم الواو، النيابة عنه، فقد ينوب عن الواو في القسم حروف أخر، منها:- الهاء، وفي الكتاب(ج٣ص٤٩٩)، تحت عنوان: هذا باب ما يكون ماقبل المحلوف به عوضاً من اللفظ بالواو ما نصه "وذلك: قولك (أي ها الله ذا) تثبت ألف (ها) لأن الذي بعدها مدغم، ومن العرب من يقول: "إي هلله ذا" فيحذف الألف بعد الهاء، ولا يكون في المقسم ها هنا إلا الجر؛ لأن قولهم: (ها) صار عوضاً من اللفظ بالواو، فحذفت تخفيفا على اللسان: ألا ترى أن الواو لا تظهر ها هنا كما تظهر في قولك: "والله" فتركهم الواو ها هنا البتة يدلك على أنها ذهبت من هنا تخفيفاً على اللسان وعوضت منها (ها) ولو كانت تذهب من هنا كما كانت تذهب من قولهم: "الله لأفعلن إذن لأدخلت الواو".والعوض والمعوض لايجتمعان-كمايقول السيوطي في (الأشباه والنظائرج١ص٣٠٦-٣١٨)،وينقل عن مجموعة من علماء اللغة في هذه المسألة ما نصه: "قال ابن جني في (سر الصناعة): أما قولهم: "لا ها الله" فإن (ها) اصارت عندهم عوضا من الواو؛ ألا تراها لا تجتمع معها كما صارت همزة الاستفهام في "آلله إنك لقائم" عوضا من الواو. قال الشلوبين في "شرح الجزولية": أما (آلله) بالمد فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم، ودليل كونها عوضا: أنه لا يجمع بينها وبين حرف القسم، لا تقول: أو ألله لأفعلن قال الأندلسي في "شرح المفصل": "يقال: إن واو القسم عوض من الفعل بخلاف الباء فإنها ليست عوضا منه. ومن ثم جاز: أقسمت بالله، و لم يجز: أقسمت والله. قال ابن القواس في (شرح الدرة): "قد عوضوا عن الواو في القسم ثلاثة أحرف: هاء التنبيه،وألف الاستفهام، وقطع همزة الوصل، فجروا بها لنيابتها عنها بدليل امتناع الجمع بين هذه الحروف وبينها. وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ج٦ص٤)، ما نصه: "ويقولون في اليمين: "ها الله" وقال الجوهري: "هاء" للتنبيه، وقد يقسم بها فيقال: "لا ها الله ما فعلت كذا"،وفي النحو الوافي لعباس حسن (ج٢ص٥٠٦) ما نصه: "و قال ابن مالك: "في هذا شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التنبيه ولا يكون ذلك إلا مع كلمة (الله) أي: لم يسمع "لا ها الرحمن" كما سمع "والرحمن". و عند تتبع مظان هذا الأسلوب (أي القسم بالهاء النائبة عن الواو)، لا نجد له أثراً في كتاب الله عز وجل و لم يرد فيه مثل هذا الأسلوب.

١٠٤- عباس حسن. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف ج ٢، ص٥٠٢-٥٠٣ . بيروت: عالم الكتب.

١٠٥- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر سيبويه. الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون.

١٠٦- جلال الدين السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو،ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ج٢،ص١٨٣.

١٠٧- سورة إبراهيم، آية: ٢ .

١٠٨- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج٥، ص٤٠٣ —٤٠٤.

١٠٩- سورة إبراهيم، آية : ١.

١١٠- ذكر هذا الوجه من التأويل يأتي لبيان أن القرآن الكريم قد ضاهى لغة العرب في سنن تعبيرها حتى النادر منها.

١١١- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩— ١٩٧٩م١ص٢٣٨.

١١٢- جار الله محمود بن عمر الزمخشري . حقائق التنزيل وعيون الأقاويل مع وجوه التأويل، بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص٣٦٥.

١١٣- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي. البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣ م، ج٥، ص٤٠٤ .

١١٤- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. الجمل في النحو، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، ط١، اربد: دار الأمل ١٤٠٤ هـ —١٩٨٤م، ص ٧١.

١١٥- عباس حسن. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف ج ٢، ص٤٩٧.

١١٦- سورة النحل، آية: ٣٨.

١١٧- سورة التوبة، آية ٦٢.

١١٨- بدر الدين محمد بن محمد عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ بيروت: دار المعرفة، ج٣، ص٤٣.

١١٩- سورة لقمان، آية: ١٣.

١٢٠- أحمد مصطفى المراغي. علوم البلاغة (البيان و المعاني والبديع)، تحقيق ومراجعة جماعة من الأخصّائيين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢ م، ص٢٢٣.

وانظر: فضل حسن عباس. البلاغة وفنونها وأفنانها (علم المعاني) ط٤. إربد: دار الفرقان ١٤١٧هـ—١٩٩٧م، ص ٥٠٠.

١٢١- سورة الزخرف، آية : ٤٩.

١٢٢- محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار المعرفة، ج٤، ص٥٥٩.

١٢٣- الصابوني. صفوة التفاسير، ج٣، ص ١٦٠.

١٢٤- السابق، ج٣، ص ١٦٠.

١٢٥- سورة الزخرف، آية: ٥٠.

١٢٦- سورة المائدة، آية: ١١٦.

١٢٧- سورة النساء، آية: ٦٢.

١٢٨- سورة التوبة، آية: ٤٢.

١٢٩- سورة التوبة، آية: ٥٦.

١٣٠- سورة التوبة، آية:٦٢ .

١٣١- ففي الآية من سورة لقمان، الأولى أن يقال: إن (بالله) جار ومجرورمتعلق بالفعل (تشرك)؛ حيث نجد شدة الالتصاق بين المتعلِق والمتعلَق، وهو ما يؤدي إلى عدم الحاجة إلى التأويل، والقاعدة العامة تقول: إن ما لا يحتاج إلى تأويل، أولى مما يحتاج إلى تأويل، فتقدير (بالله) قسماً، يؤدي إلى تكرار الفعل (تشرك) بلا مسوغ فيصبح الوضع على هذه الصورة: يا بني لا تشرك بالله لا تشرك. وكذلك الحال في آية الزخرف، الأولى حملها على غير القسم وجعلها متعلقه بفعل الأمر (ادع)؛ إذ يستبعد أن يكون فرعون وقومه قد أقسموا بنبوة موسى عليه السلام أو أقسموا بكونه صاحب دعاء مستجاب لما علم من أنه عدوهم اللدود. ويبعد احتمالية القسم في هذا الموطن أيضاً، اعتبار بعض أهل أصول التفسير كلمة (ما) في قوله تعالى (بما عهد عندك) استفهاميه، قال: الزركشي في البرهان في علوم القرآن (ج٣، ص٤٤): " الأولى أن يقال: إنه سؤال لا قسم".

١٣٢- وكذلك الآية في سورة مريم، الأولى فيها اعتبار (بحق) جاراً ومجروراً متعلقاً بالنفي (ليس)لا قسماً ؛فقد جاء في تفسيرها ما يبعدها عن ذلك من مثل قول محمد بن علي الشوكاني في(فتح القدير ج٢، ص٩٥): تأويلها (ما ينبغي لي أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها). وكذلك الحال في الآيات الباقية الأولى حملها على غير القسم، فقد عهد عن العرب أنهم إذا جاؤوا بالقسم من مادة (حلف)، أتبعوها بالمقسم به وغالبا ما يكون لفظ الجلالة (الله)، وعندئذ تكون الباء و مدخولها من متعلقات فعل القسم (يحلفون). وكذلك الوقف على (يحلفون) ثم الابتداء (بالله)، يعد تحطيما للنص الواحد وفصلاً بين

الفعل و متعلقه دون مسوغ. لهذا كله نرى أن الأولى عدَّ الأمثلة السابقة ليست من باب القسم للابتعاد عن التعسف في توجيه النص.

١٣٣- قال ابن الجزري في (النشر في القراءات العشر ج١ ص٢٣١): "ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين، أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً أو ابتداءً، ينبغي أن يعتمد الوقوف عليه بل ينبغي تحرّي المعنى، والوقف الأولى وذلك نحو: (ثم جاءوك يحلفون) ثم الابتداء (بالله إن أردنا) ونحو: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك) ثم الابتداء (بالله إن الشرك) على معنى القسم".

١٣٤- نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني. منهاج السالك إلى ألفية ابن مالك وبهامشه حاشية الصبان، مصر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي، ج٢، ص٢٢.

١٣٥- محمد بن علي الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ج٢، ص ٢٢.

١٣٦- عباس حسن. النحو الوافي، ج٢، ص٥٢٣.

١٣٧- السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د.عبد العال سالم مكرم، الكويت دار البحوث العلمية١٣٩٩-١٩٧٩م، ج٤،ص٢٣٢- ٢٣٤.

١٣٨- الفيروز أبادي. القاموس المحيط، باب الهمزة، فصل التاء.

وانظر: (١) شرح الأشموني على الألفية، ج٢، ص٧.

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ص ١٩.

١٣٩- الزجاجي. الجمل في النحو، ص ٧١.

١٤٠- سيبويه. الكتاب، ج٣، ص ٤٩٩.

انظر : (١) ابن كمال باشا، أسرار النحو، ص ٢٨١.

(٢) أبا الفتح عثمان بن جني الموصلي. اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، ط ١، بغداد: مطبعة العاني ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ص ٢٨٦.

١٤١- سورة يوسف، قوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف" وانظر الآيات: ٨٥ ، ٩١، ٩٥.

١٤٢- انظر السور والآيات التالية: الأنبياء ٥٧، الشعراء ٩٧، النحل ١٣، ٥٦، الصافات ٥٦ .

١٤٣- سورة يوسف آية: ٧٣.

١٤٤- سورة يوسف آية: ٨٥.

١٤٥- سورة يوسف آية:٩١.

١٤٦- سورة يوسف آية: ٩٥.

١٤٧- سورة الأنبياء، آية: ٥٧.

١٤٨- سورة الصافات، آية: ٥٦.

١٤٩- سورة الكهف، آية: ٣٢.

١٥٠- الشوكاني. فتح القدير، ج٣، ص ٢٨٥. السياق العام للآيات يتحدث عن مشهد من مشاهد القيامة.

١٥١- سورة الشعراء، آية: ٩٧، ٩٨.

١٥٢- الشوكاني. فتح القدير، ج٤، ص ١٠٧.

١٥٣- سورة النحل، آية: ٥٦. والسياق العام للآية يتحدث عن العرب في الجاهلية.

١٥٤- سورة النحل، آية: ٥١.

١٥٥- سورة التوبة، آية: ٣٠.

١٥٦- سورة النحل، آية: ٦٣.

١٥٧- سورة النحل، آية: ٦٤.

١٥٨- الرازي. التفسير الكبير، ج٢، ص٦٢.

١٥٩- من قصيدة للشاعر يمدح هرم بن سنان مطلعها:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

انظر شرح ديوان زهيربن أبي سلمى، تعليق: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، بيروت:دار مكتبة الحياة ١٩٨٦، ص٤١-٤٢.

١٦٠- من قصيدة للشاعرة ترثي أخاها صخرا مطلعها:

كل امرئ بأثافي الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم

انظر ديوان الخنساء ،ط٩، بيروت: دار الأندلس ١٩٨٣، ص١٣١-١٣٣.

١٦١- من قصيدة للشاعر يطلب الثأر لأبيه من بني أسد، والبيت يروى أيضا (والله لا يذهب).

انظر: ديوان امرئ القيس،تحقيق وشرح: حنا الفاخوري، ود.وفاء الباني، ط١، بيروت: دار الجيل ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م .

١٦٢- عباس حسن. النحو الوافي، ج٢،ص٤٦٩.

١٦٣- سورة يوسف آية: ٥٣.

١٦٤- سورة الأنبياء، آية: ٥٧.

١٦٥- الزمخشري. الكشاف، ج٢، ص٥٧٦.

١٦٦- مصطفى صادق الرافعي. تاريخ آداب العرب، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٧٤ م، ج١، ص٢١٧.

١٦٧- سورة النحل، آية: ٥٦.

١٦٨- سورة يوسف، آية: ٨٥ .

١٦٩- السيوطي، الإتقان، ج٢، ص٨٨.

*** * ومن الحروف التي تنوب عن فعل القسم، اللام، وهي تأتي للقسم والتعجب معا، وتختص باسم الله تعالى كما يقول الصبان في حاشيته على شرح الأشموني، واستشهد بقول أمية بن أبي عائذ:

لله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس... (١٧٠)

ويشترط عند استخدامها في القسم، أن يكون المقسم به لفظ الجلالة، وأن تكون جملة القسم محذوفة؛ كقولهم "لله!! لا ينجو من الزمان حذر"، يقال في معرض الحديث عن رجل حريص يتوقى أسباب الضرر جهد استطاعته ولكنه بالرغم من ذلك يصاب".(١٧١)

وعند تتبع ورود اللام حرف قسم في القرآن، لا نجد له ذكراً، وأما قوله تعالى: "لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون"(١٧٢)، فاللام فيها(كما يقول أبو حيان) للابتداء (١٧٣) قد دخلت على المقسم به (عمرك)، وقد تحذف بدليل قراءة ابن عباس (رضي الله عنهما): وعمرك،ومن حذفها في الشعر ما أنشده لأبي الهيثم :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان (١٧٤)

مما سبق نخلص إلى أن اللام في الآية الكريمة ليست للقسم، وأن كتاب الله عز وجل خال من استخدام لام القسم. ونحن إذ نشير إلى ذلك من باب الدراسة الإحصائية.

ومن حروف القسم عند النحاة همزة الاستفهام قال ابن كمال باشا: "وكذا همزة الاستفهام مع القطع والوصل عوض من حروف القسم نحو: آآلله همزتين مفتوحتين، ويجوز إبدال الهمزة الثانية ألفا فتقول بهمزة مفتوحة ممدودة بعدها لام نحو: آلله، ولا يجوز الاقتصار على همزة واحدة للالتباس....(١٧٥)

ومن حروف القسم أيضا: من(بضم الميم) مثل "من الله" وتقلب "ماالله" لأنها تعامل في الخط معاملة الباء في بالله عند ابن درستويه وسيبويه"...(١٧٦)

وتأتي مضمومة الميم ومكسورها ولايكاد يجر إلا كلمة "الله" نحو "من الله لأقاومن الباطل" ويجب معه حذف الجملة القسمية، فعلها وفاعلها"(١٧٧) ومن حروف القسم: "جير" قال في النحو الوافي: "من الألفاظ التي قد تستعمل أحيانا في القسم "جير" كقول الشاعر:

قالوا قهرت فقلت جير ليعلمن عما قليل أينا المقهور (١٧٨)

والأحسن في إعرابها أن تكون حرف قسم مبنيا على الكسر لا محل له من الإعراب"(١٧٩) وعد بعضهم الميم حرفا من حروف القسم مثلثة ضماً وفتحاً وكسراً (مُ) مثل (مُ الله) وجعله صاحب التسهيل، بقية "أيمن".(١٨٠)

وعند تتبع مظان وجود هذه الحروف للقسم في القرآن، لا نجد لها تمثيلا البتة، ولعل السبب يعود إلى أن هذه الاحتجاجات في استخدام هذه الحروف في القسم من اللغات الأقل حظاً من الفصحى والله أعلم ، وإنما ذكرناها ها هنا من وجهة النظر الإحصائية.

١٧٠- الصبان. حاشية الصبان على شرح الاشموني، ج٢، ص ٢-٦ .

الضيان: ياسمين البر.

١٧١- عباس حسن . النحو الوافي، ج٢، ص ٤٧٧.

١٧٢- سورة الحجر ، آية : ٧٢، وفي الآية: نلاحظ أن: "المقسم به هو عمر الرسول صلى الله عليه وسلم، والمقسم، هو الله سبحانه وتعالى،كما ورد عند الطبري في تفسيره (ج١٤ص٤٤) وقد قصد بهذا القسم التعجب من حال قوم لوط، وتشريف المقسم به وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما "ما خلق الله وما ذرأ، وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره ". ويصح أن يكون المخاطب لوطا عليه السلام، قال الزمخشري في الكشاف (ج٢ص٣٦٩): "قالت الملائكة للوط عليه السلام: "لعمرك "إنهم لفي سكرتهم" والعمر (بفتح العين) عنده للقسم، قال: "والعُمر والعَمْر واحد، إلا إنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه، وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره: لعمرك مما أقسم به".

١٧٣-أبو حيان. البحر المحيط، ج٥، ص٤٦٢.

١٧٤- السابق ص٤٦٢.

١٧٥-ابن كمال باشا. أسرار النحو، ص٢٨. وانظر: السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق، د.عبد العال سالم مكرم ،ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م ،ج١، ص٣١٧-٣١٩.

١٧٦-د.عبد الفتاح الحموز. فن الإملاء في العربية، ط١، الأردن – دار عمار ١٩٩٣م، ج١، ص٣٨٨.

١٧٧-عباس حسن. النحو الوافي، ج٢، ص٤٦٥.

١٧٨- لم أعثر على قائله.

١٧٩-عباس حسن. النحو الوافي، ج٢، ص٥٠٥ وما بعدها.

١٨٠-جمال الدين أبو عبد الله محمد، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م، ص ١٦٠.

المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد. منهاج السالك إلى ألفية ابن مـــالك وبهامشـــه حاشـــية الصبان، مصر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي.

٣- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي. البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م.

٤- بنت الشاطئ، د. عائشة عبد الرحمن.

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسا ئل، نافع بن الأزرق، (دراسة لغوية بيانية)، مصر: دار المعارف.

(٢) التفسير البياني ط٤، مصر: دار المعارف.

٥- البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر الشيـــرازي. أنوار التنزيل وأســـــرار التـــأويل تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٦هـــ -١٩٩٦م .

٦- البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين بن علي. السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا مكة المكرمـــة: دار الباز، ١٤١٤هـــ -١٩٩٤م.

٧-الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى بن سورة . جامع الترمذي، شرح: محمد الرحمن المبار كفوري، المدينـــة المنورة: المكتبة السلفية.

٨- الجزري، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. النشر في القراءات ا لعشر، تحقيق على محمد الصبـــاغ، عمان: دار الفكر، بدون تاريخ.

٩- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، ط ١، بغداد: مطبعـــة العاني ١٤٠٢ هـــ- ١٩٨٢.

١٠- حسن، عباس. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف.

١١- الحموز، د.عبد الفتاح الحموز. فن الإملاء في العـــربية، ط١، الأردن: دار عمار، ١٩٩٣م.

١٢- الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين أبو العز الدمشقي. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة مـــن العلماء، ط٥، بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـــ .

١٣- الخازن، الإمام علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي. لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر.

١٤- الخنساء، تماضر بنت عمر بن الشريد السلمي. الديوان، ط٩،بيروت: دار الأندلس ١٩٨٣م.

١٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر . التفســـــير الكـــــبير (مفاتيح الغيب)، ط٣، بيروت: دار إحيـــاء التراث.

١٦- الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٧٤ م.

١٧- ربيعة، زهير (ابن أبي سلمى). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تعليق: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٨٦م.

١٨- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. معاني الحروف، ت: د عبد الفتاح شلبي، ط٢، جدة: دار الشروق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٩- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. الجمل في النحو. تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، ط١، اربد: دار الأمل ١٤٠٤ هـ -١٩٨٤م.

٢٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن محمد عبد الله . البرهان في علوم القرآن،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, ط٢، بيروت: دار المعرفة.

٢١- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل بيروت: دار المعرفة.

٢٢- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر. الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب.

٢٣- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين.

١- الإتقان في علوم القرآن، بيروت: المكتبة الثقافية ١٩٧٣م.

٢- الأشباه والنظائر في النحو،ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار المعرفة.

٢٥- الصابوني، محمد علي.

(١) صفوة التفاسير ط٤ بيروت : دار القرآن الكريم ١٩٨١م.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، ط٧، بيروت: دار القرآن ١٩٨١م .

٢٦- الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ج٢، ص ٢٢، مصر: دار إحياء الكتب العربية

٢٧- الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، نشر: مصطفى الحلبي وأولاده ١٩٦٨م .

٢٨- عباس، فضل حسن. البلاغة وفنونها وأفنانها (علم المعاني) ط٤، إربد: دار الفرقان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٩- عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وزميله، الرباط: وزارة الأوقاف المغربية١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٣٠- عبد الجواد، د. إبراهيم . الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، عمان: وزارة الثقافة.

٣١- عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله . تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ط٣ ، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ.

٣٢- عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ونخبة من علماء المسلمين. مجموعة التوحيد، نشر وتوزيع بالسعودية: رئاسة إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣٣- العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن محمد ابن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة.

٣٤- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله . إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣٥- فارس، أبو الحسين أحمد. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٨٩هـ.

٣٦- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط٣، بيروت: ١٩٨٧م.

٣٧- قطب، سيد قطب. في ظلال القرآن، ط٧ بيروت: دار إحياء التراث ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٣٨- القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن القيم). التبيان في أقسام القرآن، تحقيق عصام فارس وخرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغيلي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م.

٣٩- كمال باشا، شمس الدين بن محمد بن سليمان. أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن، عمان: دار الفكر.

٤٠- الكندي ، أبو الحارث حندج بن حجر (امرؤ القيس). ديوان امرئ القيس، تحقيق وشرح حنا الفاخوري ود. وفاء الباني ،ط١ بيروت: دار الجيل ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩.

٤١- مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد (ابن مالك). تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م.

٤٢- مراد، عثمان سليمان. السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي، إعداد: سعيد حسن سمور، عمان: مطبعة الشرق ومكتبتها، بدون تاريخ.

٤٣- المراغ، أحمد مصطفى المراغي. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، تحقيق ومراجعة جماعة من الأخصائيين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.

٤٤- مطلوب، أحمد.

١- أساليب بلاغية (الفصاحة والبلاغة والمعاني) ط١، الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٨٠م .

٢- معجم المصطلحات البلاغية، ط٢، لبنان: مكتبة لبنان ١٩٩٦م.